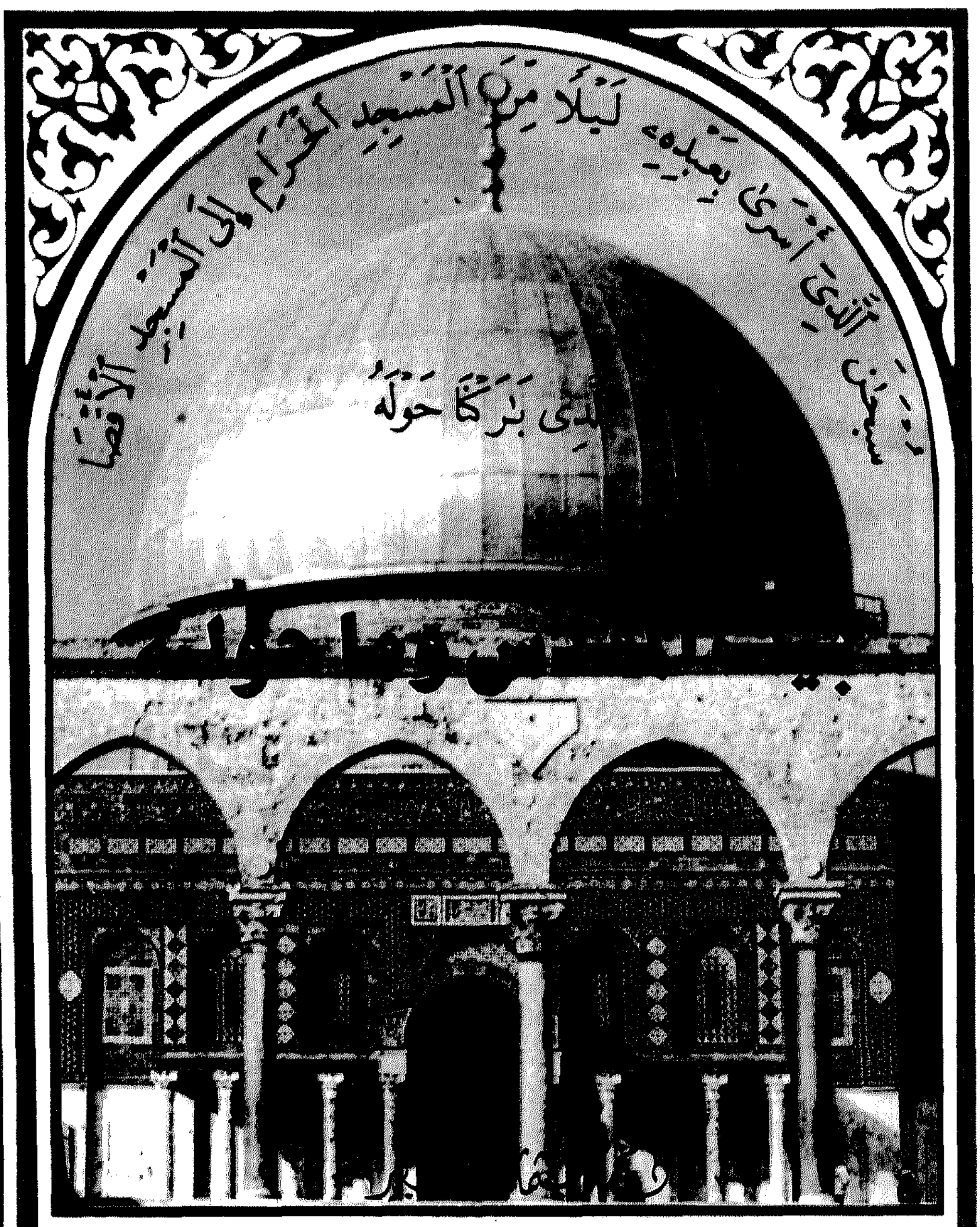


بيت المقدس وما حوله

بيت المقدس وما حوله

بسم الله الرحمن الرحيم

« فاتحة لكل خير وتمام لكل نعمة »

بيت المقدس وما حوله

خصائصه العامة وأحكامه الفقهية

الدكتور محمد عثمان شبير
المدرس بكلية الشريعة
جامعة الكويت

مكتبة الفلاح
الكويت

الطبعة الأولى

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

مكتبة الفلاح الكويت
شارع بيروت مقابل بريد حولي القديم
تلفون: ٢٦٤٧٧٨٤
ص.ب: ٤٨٤٨ الصفاة الرمز البريدي 13049الكويت
برقيا: لغاتكو

محتويات الكتاب

المبحث الثاني

المبحث الثالث

افتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . . فإن الله فضّل من الأرض بقاعاً اختصها بتشريفه وتعظيمه ، وجعلها مواطن للعبادة والطاعة ، تضاعف فيها الحسنات وتنمو بها الأجور ، وأخبرنا بذلك على ألسن رسله وأنبيائه لطفاً بعباده ، وتسهيلا لطرق الخير والسعادة لهم ، وأفضل هذه البقاع هي مكة المكرمة ، والمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وبيت المقدس .

فمكة المكرمة أرض البيت الحرام الذي بناه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، جعله الله تعالى مثابة للناس وأمنا ، وقال ﷺ يوم فتح مكة فيها : « إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه ، ولا ينفّر صيده ، ولا يلتقطُ لقطته إلا من عرفها ، ولا يُخْتَلى خلاه[١] فقال العباس : يا رسول الله إلا الإذْخر[٢] ، فإنه لقَينهم[٣] وبيوتهم فقال : إلا الإذْخر » ، أخرجه البخاري

(١) لا يختلى خلاها : أي لا يقطع نباتها الرطب .

(٢) الاذخر : نبات طيب الرائحة .

(٣) قينهم : الحداد والصانع ومعناه يحتاج إليه القين في وقود النار .

ومسلم[١] ، وعن عبدالله بن عدي بن الحمراء رضي الله عنه قال : « رأيت رسول الله ﷺ واقفاً على الحزورة[٢] ويقول : والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت » أخرجه الترمذي[٣] .

وأما المدينة المنورة فقد بناها يثرب بن مهلائل الذي ينتسب إلى العمالقة ، هاجر إليها رسول الله ﷺ لإقامة دين الإسلام بها وبنى مسجده فيها وكان ملحده الشريف في تربتها ، وقال ﷺ فيها: « إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها ـ وفي رواية دعا لأهلها ـ، وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، وإني دعوت في صاعها ومدها بمثلي ما دعا به إبراهيم لأهل مكة » ، أخرجه البخاري ومسلم[٤] .

وأما مدينة بيت المقدس فقد بناها اليبوسيون في حدود سنة (٣٠٠٠ق. م) وأطلقوا عليها اسم « يبوس » نسبة إلى جدهم الأول الذي ينتمي إلى الكنعانيين الذين هاجروا من الجزيرة العربية واستوطنوا فلسطين في حوالي سنة (٤٠٠٠ق. م) وفيها المسجد الأقصى الذي هُيء للعبادة بعد المسجد الحرام بأربعين سنة كما ثبت في الحديث[٥] ، وهي مهبط الملائكة ، ومبعث الأنبياء ، ومزارهم ومدفنهم ، وهي معراج الرسول ﷺ إلى السماوات العلى .

وتعتبر مدينة بيت المقدس أهم مدن فلسطين ، فهي بمثابة القلب من الجسد ، وهي أم المدن الفلسطينية وقراها . قال ابن الأثير في تحديد بقعة

---

(١) ابن الاثير : جامع الاصول ٩ / ٢٨٨ ، وشرح النووي على مسلم ٧ / ١٢٥ .

(٢) الحزورة : موضع بمكة عند باب الحناطين وهو بوزن قسورة قال الشافعي الناس يشددون الحزورة والحديبية وهما مخففتان (النهاية لابن الاثير ١ / ٣٨٠) .

(٣) ابن الاثير: جامع الاصول ٩ / ٢٩٢ .

(٤) نفس المرجع ٩ / ٣٠٨ .

(٥) انظر الحديث في المبحث الثاني .

فلسطين: «كورة معروفة مابين الأردن وديار مصر وأم بلادها بيت المقدس»[1] ، أي أن مدن فلسطين كلها تبع لبيت المقدس وفرع عنها ، وهي أصل البلاد ، وليس لها في المدن الفلسطينية عديل كما يقال عن مكة أم القرى ، وعن سورة الفاتحة أم القرآن .

وقد ثبتت لبيت المقدس وما حوله خصائص عامة وأحكام خاصة في القرآن والسنة بعضها متناثر في كتب الفقه والأحكام وكتب التفسير ، وشروح الأحاديث ، وبعضها جمع في كتاب مستقل لكن يعوزه التحقيق والتخريج لكثير من الأحاديث والآثار ، كما يعوزه التحقيق العلمي للمسائل الفقهية التي وردت فيه ، فقمت بهذا البحث قاصداً أمرين :

الأول : إبراز خصائص بيت المقدس وما حوله بصورة واضحة وجلية معتمداً على ماصح من الأحاديث والآثار لتكون باعثاً قوياً لنفوس المسلمين على التعلق القلبي ببيت المقدس وما حوله ، ودافعاً حقيقياً للشعور بمسئولية التحرير الكامل لأرض فلسطين .

والثاني : التحقيق العلمي في المسائل والأحكام الفقهية الخاصة ببيت المقدس ليكون المسلم على بصيرة من أمره حينما يسمع بحكم أو ينوي تطبيق حكم منها ، ومن هذه الأحكام :

١ ــ حكم الأرض المفتوحة عنوة أو صلحاً .
٢ ــ استمرار صفة الإسلامية على أرض فلسطين بعد الاغتصاب .
٣ ــ حكم زيارة المسجد الأقصى وشد الرحال إليه .
٤ ــ فضل الصلاة في المسجد الأقصى .

---

(١) ابن الاثير : النهاية في غريب الحديث ـ دار الفكر ببيروت ٣ / ٤٧١ .

٥ ــ حكم الإحرام من المسجد الأقصى بالحج أو العمرة .
٦ ــ حكم اقتراف السيئات في الحرم القدسي .
٧ ــ فضل المجاورة للمسجد الأقصى .

وقد تناولت بالشرح والتحليل ثلاث خصائص عامة لأرض بيت المقدس وما حوله وهي البركة ، والقدسية ، والإسلامية ، وخصصت لكل منها مبحثاً .

تكلمت في المبحث الأول عن معنى بركة أرض بيت المقدس وما حوله ، ومنشأ البركة المعنوية فيها ، وآثارها .

وتكلمت في المبحث الثاني عن معنى قدسية أرض بيت المقدس وما حوله ، ومنشأ هذه القدسية وأثرها .

وتكلمت في المبحث الثالث عن إسلامية أرض بيت المقدس وما حوله ، ومنشأ هذه الإسلامية ، وأثر الفتح الإسلامي على بيت المقدس وما حوله ، والأحكام الفقهية الخاصة ببيت المقدس وما حوله .

وختمت بحثي هذا بخاتمة لخصت فيها أهم نتائج البحث .

والله أسأل أن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع ويجعله في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون .

د. محمد عثمان شبير

المبحث الأول

بركة أرض بيت المقدس وما حوله

لقد نصَّ الله تعالى على بركة أرض بيت المقدس وما حوله في كتابه الكريم ومن ذلك : قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(١) . وقوله تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾(٢) أي أن الله نجى إبراهيم ولوطاً عليهما السلام إلى الأرض المباركة : وهي أرض الشام ومنها فلسطين ـ كما قال المفسرون(٣) ـ بعد أن كانا في العراق .

وقوله تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾(٤) أي لسليمان عليه السلام تسخير الريح تهب بشدة وتجري بسرعة إلى الأرض التي باركنا فيها : وهي أرض الشام(٥) .

---

(١) آية : ١ من سورة الإسراء .

(٢) آية : ٧١ من سورة الأنبياء .

(٣) انظر : ابن الجوزي : زاد المسير ـ المكتب الاسلامي ببيروت ط ١ ١٩٦٤م ٥ / ٣٦٨ ، القرطبي : الجامع لاحكام القرآن ـ دار احياء التراث العربي ببيروت ١١ / ٣٠٥ .

(٤) آية : ٨١ من سورة الأنبياء .

(٥) انظر : ابن الجوزي : زاد المسير ٥ / ٣٧٤ ، القرطبي الجامع لاحكام القرآن ١١ / ٣٢٢ ، ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ـ دار المعرفة ببيروت ٣ / ١٨٧ .

معنى البركة

والبركة في لغة العرب : النمو والزيادة في الخير ، وأصل البَرْك صدر البعير ، وسمى محبس الماء بركة .

والبَركة مشتقة من بارك الله في الشيء ، وبارك عليه ، وبارك له[1] والبركة في الشرع : « ثبوت الخير الإلهي في الشيء »[2] كثبوت الماء في البِركة . والمبارك ما فيه ذلك الخير الإلهي .

بركة أرض بيت المقدس الحسية

وبركة أرض بيت المقدس : حسية، ومعنوية، فالحسية بالخصب والثمار والأشجار والأنهار وعذوبة الماء ، والسهول والجبال والمنخفضات ، وبموقعها المتوسط فهي قلب الوطن الإسلامي : حدودها من الشمال لبنان ، ومن الشمال الشرقي سورية ، ومن الشرق الأردن ، ومن الجنوب خليج العقبة ، ومن الجنوب الغربي شبه جزيرة سيناء ، ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط .

وهي بوابة القادمين من آسيا في طريقهم إلى إفريقية، وبالعكس، وهي إحدى المنافذ المطلة على البحر المتوسط باتجاه أوربا ، وهي الممر الذي لابد من اجتيازه منذ قرون وقرون لمعظم القوافل المتحركة من الشمال إلى الجنوب ، وبالعكس، وهي فضلا عن ذلك ذات موقع وسط بين بلدان العالم القديم على المستويين الحضاري والعسكري ، وربما كان هذا أحد الأسباب الرئيسة

---

(١) انظر : الفيومي : المصباح المنير ـ المطبعة الأميرية بالقاهرة ط ٦ ١٩٢٦ م ١ / ٦٢، الاصفهاني: المفردات في غريب القرآن ـ مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة ١٩٦١ م ص ٤٤ .

(٢) الاصفهاني : المرجع السابق .

لاختيارها مبعثاً لعديد من الأنبياء ، ومستقراً للرسالات السماوية ، ومنطلقاً للجيوش الغازية والفاتحة لما حولها من البلاد فقد مرَّ بها الاسكندر المقدوني عندما غزا مصر سنة (٣٣٢ ق.م) واتخذها عمرو بن العاص قاعدة لإنطلاق الجيوش الإسلامية لفتح مصر ، وآثر المرور عبر السهل الساحلي ليسر المسير خلاله ومعرفة العرب دروبه ، وقد كانت موانيء فلسطين قواعد لسفن المسلمين المتجهة لفتح جزر البحر الأبيض المتوسط .

ومن مظاهر البركة الحسية لأرض فلسطين النشاط الزراعي الكثيف الذي تمخض عن وفرة في البحار والعيون والأنهار . قال ابن كثير ـ في بيان معنى قوله تعالى ﴿ بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ ﴾ ـ بالزروع والثمار[١] . وقال ابن الجوزي : ومعنى ﴿ بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ ﴾ أن الله أجرى حوله الأنهار وأنبت الثمار، وقيل : لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة»[٢] .

ولقد لفت هذا النشاط نظر الرحالة والجغرافيين الذين زاروا فلسطين فأشاروا إليه وقالوا عن فلسطين: إنها من أخصب بلاد الشام وأكثرها عمراناً على صغر رقعتها[٣] ، ثم وقفوا عند أشهر مدنها فحدثونا عما شهدوه فيها من زروع وثمار. . فالقدس تعد من أخصب بلدان فلسطين[٤] تحيط بها بساتين وكروم ومزارع وأشجار فاكهة وزيتون[٥] . وتنتشر حولها قرى كثيرة الزروع والأشجار،

---

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٣ / ٢ .

(٢) ابن الجوزي : زاد المسير في علم التفسير ٥ / ٥ .

(٣) ابن حوقل : صورة الارض ـ منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت ص ١٥٩ .

(٤) نفس المرجع .

(٥) اسحق ابن الحسين : آكام المرجان ص ١٣ نقلا عن بحث فلسطين في الأدب الجغرافي العربي للدكتور عماد الدين خليل ـ ضمن كتاب دراسات تاريخية ـ المكتب الاسلامي ببيروت ط ١ ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م ص ١٢٦ .

وقد ازدهرت فيها زراعة الأترج ، واللوز، والجوز، والتين والموز فضلا عن السماق[١] . ومما لاشك فيه أن أكثر مزروعات القدس وفرة الزيتون الذي يستخرج منه الزيت، وكانوا يحفظونه في الآبار والأحواض ليصدروه إلى أطراف العالم[٢] .

ولا تقل نابلس عن القدس في كثرة أشجار الزيتون فضلا عن البطيخ الأصفر المنسوب إليها ، والذي اشتهر بطعمه اللذيذ[٣] . ويصفها الدمشقي بأنها قصر في بستان[٤] وبلغ من ازدهارها الزراعي أن إقليمها اشتمل على ثلاثمائة قرية[٥] .

واشتهرت أريحا بزراعة النخيل والموز والريحان وقصب السكر[٦] ، كما اشتهرت بيسان بكثرة بساتينها وبخاصة النخيل والرز[٧] ، وعرفت الرملة بكثرة فواكهها وبخاصة التين والنخيل[٨] ، واشتهر تينها بأنه لا يوجد له مثيل في أي مكان آخر ، وكانت تصدر منه كميات كبيرة إلى مختلف البلاد[٩] . وتقع مدينة

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٦٦ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ٥ / ١٦٩ .
(٢) ناصر خسرو: سفرنامه ص ١٩ نقلا عن بحث فلسطين في الأدب الجغرافي ص ١٢٦ .
(٣) رحلة ابن بطوطه ـ دار احياء التراث العربي ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م ص ٥٦ ، الدمشقي : نخبة الدهر وعجائب البر والبحر ـ طبعة ١٩٢٣ م ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ .
(٤) الدمشقي : المرجع السابق .
(٥) الظاهري : زبدة كشف الممالك ـ مطبعة الجمهورية بباريس ص ١٤٦ .
(٦) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٧٥ ، القزويني : اثار البلاد واخبار العباد ـ دار صادر ببيروت ص ١٤٢ .
(٧) المقدسي : المرجع السابق ص ١٦٢ ـ ١٨٠ ، أبو الفداء : تقويم البلدان ـ دار الطباعة السلطانية بباريس ١٨٤٠ هـ ص ٤٣ .
(٨) المقدسي : المرجع السابق ص ١٦٤ .
(٩) ناصر خسرو : سفرنامة ص ١٩ نقلا عن بحث فلسطين في الادب الجغرافي ص ١٢٦ .

الخليل في وهدة بين جبلين وهي ملتفة الأشجار كثيرة الثمار[1] وبخاصة الأعناب والتفاح والزيتون والتين والخرنوب، والتي اشتهرت بكثرتها وكانت تصدر منها كميات كبيرة إلى مصر[2] .

وازدهرت عكا بزراعة أشجار الفواكه والزيتون[3] ، وانتشرت في حيفا أشجار الفواكه وبخاصة النخيل[4] ، وعلى سبعة فراسخ من عكا تقع قيسارية التي ازدهرت فيها زراعة الفواكه وبخاصة النخيل والحمضيات وقد وصفها المقدسي بأنه ليس على بحر الروم (البحر المتوسط) بلد أجمل ولا أكثر خيرات منها وأنها تفور نعما . ولا تقل عنها خصباً عسقلان ذات البساتين والثمار ، والتي يكثر فيها الزيتون والكروم واللوز والرمان فضلا عن النخيل[5] .

وأما مدينة غزة التي كانت تعرف بغزة هاشم (جد الرسول ﷺ) فقد وصفت بأنها كثيرة الشجر كسماط ـ بساط ـ ممدود ، وقد ازدهرت فيها بشكل خاص زراعة الكروم والحمضيات[6] .

وكثرت في منطقة صفد أشجار الكمثرى المسكي المعطر الرائحة ، الطيب الطعم ، والأترج الذي اشتهر بحجمه الكبير الذي يبلغ وزن الواحدة منه نحواً من ستة أرطال دمشقية على عهدة الدمشقي[7] . وهنالك ـ أيضاً ـ الكروم

---

(١) ابن الوردي : خريدة العجائب وفريدة الغرائب ـ مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة ١٣٥٨ هـ ص ٤٢ ، ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٥٨ .

(٢) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٧٢ ، أبو الفداء : تقويم البلدان ص ٢٤١ .

(٣) المقدسي : المرجع السابق ص ١٦٢ .

(٤) ناصر خسرو: سفرنامة ص ١٨ نقلا عن بحث فلسطين في الادب الجغرافي ص ١٢٧ .

(٥) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٧٤ .

(٦) المقدسي : المرجع السابق ، الدمشقي : نخبة الدهر ص ٢١٣ ، الظاهري : زبدة كشف الممالك ص ٤٢ .

(٧) الدمشقي : نخبة الدهر وعجائب البر والبحر ص ٢١١ .

والزيتون والبطم والخروب والسفرجل وأنواع كثيرة من الفواكه[1] ، وبلغ من اتساع نشاطها الزراعي أن اقليمها كان يضم - حسبما ذكر الظاهري - ألفاً ومائتي قرية[2] .

وفي الجملة فإن سائر جبال فلسطين وسهولها ملأى بالزيتون والتين والجميز والعنب وسائر الفواكه[3] ، فضلا عن قصب السكر الذي ازدهرت زراعته في الغور ، والقطن الذي كان يزرع في أطراف القدس ويصدر إلى عدد من البلاد[4] . ويرجع سبب هذه الكثرة في الأشجار والثمار إلى وفرة في المياه ، ففلسطين تقع على البحر المتوسط ، وفيها البحر الميت وبحيرة طبرية ، وهي بحيرة مشهورة وماؤها عذب ، وعلى جانب شواطئها تتفجر ينابيع شديدة الحرارة ، وبخاصة عينها الجنوبية التي « تسلق البيض وتنضج اللحم » وماء هذه العيون ملحي كبريتي يتخذ علاجاً طبيعياً لترهل البدن والجرب وتزايد البلغم وغير ذلك[5] ، وفيها العيون والجداول والأنهار كعيون عسقلان ، وعيون أريحا ، وعيون وأنهار بيسان وعيون الخليل ، وعيون قيسارية ، وعين سلوان في القدس وغير ذلك[6] هذا بالاضافة إلى كمية الأمطار الكبيرة التي تسقط على أرض فلسطين في فصل الشتاء .

---

(١) نفس المرجع .
(٢) الظاهري : زبدة كشف الممالك ص ٤٢ .
(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٥٨ - ١٥٩ .
(٤) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٨٠ .
(٥) الدمشقي : نخبة الدهر وعجائب البر والبحر ص ٢١١ - ٢١٢ . رحلة ابن بطوطة ص ٥٨ .
(٦) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٥ / ١٦٨ .

البركة المعنوية لأرض بيت المقدس وما حوله

وثمة جانب مهم من جوانب البركة التي اختص الله بها أرض بيت المقدس وما حوله وهي البركة المعنوية .

أولاً : منشأ البركة المعنوية لأرض بيت المقدس وما حوله

إن منشأ البركة المعنوية لأرض فلسطين يرجع إلى عدة أمور وهي : كون هذه الأرض مبعث الأنبياء ومهبط الملائكة ، وكونها العش الذي يرقد فيه الأنبياء والأرض التي يبعثون منها ، وكونها أرض المحشر والمنشر والحساب ووضع الموازين للناس .

١ ـ أرض فلسطين مبعث الأنبياء ومهبط الملائكة :

شهدت أرض فلسطين عامة وبيت المقدس خاصة نزول الوحي السماوي على كثير من الأنبياء كداود وسليمان وعيسى عليهم السلام الذين نشأوا وترعرعوا في أرض فلسطين ، وعلى إبراهيم ولوط وموسى عليهم السلام الذين هاجروا إلى تلك الأرض المباركة .

قال تعالى : في هجرة إبراهيم ولوط عليهما السلام إلى أرض فلسطين : ﴿فَءَامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[١] قال قتادة : هاجروا جميعا من « كوثي » وهي من سواد الكوفة إلى الشام[٢] وقال تعالى :

---

(١) آية ٢٦ من سورة العنكبوت .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ـ دار المعرفة ببيروت .

﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] أي نجى الله إبراهيم وابن أخيه لوطاً عليهما السلام إلى الأرض المباركة وهي أرض الشام ـ كما بينا سابقا ـ

وقال تعالى ـ في هجرة موسى عليه السلام إلى أرض فلسطين : ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[2] . وطلب موسى عليه السلام من قومه الاستمرار في هجرتهم ودخول أرض فلسطين فقال : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾[3] .

ولم يقتصر نزول الملائكة إلى هذه الأرض المباركة على الإيحاء بالتعاليم السماوية للأنبياء الذين بعثوا في هذه الأرض أو هاجروا إليها ، وإنما تخطى ذلك بنزول دائم للملائكة فهي تبسط أجنحتها على أرض الشام كما ورد في الحديث الذي رواه زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يا طوبى للشام يا طوبى للشام قالوا : يا رسول الله وبم ذلك ؟ قال : « تلك ملائكة الله باسطة أجنحتها على الشام »[4] أي أن الملائكة تحفها وتحوطها بإنزال البركات ودفع المهالك والمؤذيات[5] .

---

(١) آية ٧١ من سورة الانبياء .

(٢) آية ١٣٨ من سورة الأعراف .

(٣) آية ٢١ من سورة المائدة .

(٤) رواه الترمذي في صحيحه ٥ / ٧٣٤ ، واحمد بن حنبل في مسنده ٥ / ١٨٤ ، والطبراني والحاكم قال : الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٦٠) « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح » وقال الحاكم) « صحيح على شرط الشيخين » ، فيض القدير للمناوي ٤ / ٢٧٤ .

(٥) المناوي : فيض القدير ـ دار المعرفة ببيروت ٤ / ٢٧٤ .

بهذا وبغيره استحقت أرض الشام عامة وفلسطين خاصة أن توصف بالبركة . قال الزمخشري : « وقد جعل الله أرض الشام بالبركات موسومة وحقت أن تكون كذلك فهي مبعث الأنبياء ومهبط الوحي ومكانهم أحياء وأمواتاً »[1] ، وقال أبو عبدالله المنهاجي : « وجعل ـ أي الرب سبحانه ـ صفوته من الأرض كلها أرض بيت المقدس . . وقال تعالى لموسى : انطلق إلى بيت المقدس . . وتاب الله على داود وسليمان عليهما السلام في أرض بيت المقدس ، وسخر الله لداود الجبال والطير ببيت المقدس وكانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يقربون القرابين ببيت المقدس وتهبط الملائكة عليهم السلام كل ليلة إلى بيت المقدس . . وولد عيسى عليه السلام ببيت المقدس ورفعه الله تعالى إلى السماء من بيت المقدس . . . »[2] .

٢ ـ أرض فلسطين معدن الأنبياء وعشهم الذي يرقدون فيه .

يرقد في أرض فلسطين كثير من الأنبياء منهم أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام ، وقبره معروف في مدينة الخليل[3] ، وإسحق ويوسف ويعقوب عليهم السلام . وسيدنا موسى عليه السلام ، قبره على رمية حجر من بيت المقدس .

---

(١) نقله عنه المناوي في فيض القدير ٤ / ٣٤٢ .

(٢) ابو عبدالله محمد المنهاجي السيوطي : اتحاف الأخصّا بفضائل المسجد الاقصى تحقيق احمد رمضان احمد ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢ م ١ / ١٠٥ ـ ١٠٦ .

(٣) اختلف العلماء في ثبوت القبر المعروف في مدينة الخليل لسيدنا إبراهيم عليه السلام ، ولكن الصحيح الذي عليه الجمهور ـ كما قال ابن تيمية في الفتاوي (٢٧ / ٤٤٥) ـ انه قبره/أما قبر يونس وإلياس وشعيب وإسحق فلا يعرف .

قال ابن الجوزي : « وفي الأرض المقدسة إبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف عليهم السلام »(١)

روى مسلم وغيره عن أبي هريرة قال : أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع إلى ربه فقال : أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت . قال فرد الله إليه عينه وقال : ارجع إليه . فقل له يضع يده على متن ثور ـ أي على ظهره ـ فله بما غطت يده بكل شعرة سنة . قال : أي رب ثم مه ؟ قال ثم الموت . قال : فالآن ، فسأل الله أن يدنيه الأرض المقدسة رمية بحجر . فقال رسول الله ﷺ «فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر »(٢) .

قال المازري : وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث وأنكروا تصوره فقالوا كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت؟

والجواب عن ذلك: بأن معنى الحديث صحيح ، ومعناه أن موسى عليه السلام لم يبعث الله إليه ملك الموت وهو يريد قبض روحه حينئذ وإنما بعثه اختباراً وابتلاء كما أمر الله تعالى خليله بذبح ولده، ولم يرد إمضاء ذلك، ولو أراد أن يقبض روح موسى عليه السلام حين لطم الملك لكان ما أراد . وأما اللطمة فهي مباحة عند موسى عليه السلام إذ رأى آدمياً دخل عليه ولا يعلم أنه ملك الموت وقد أباح الرسول ﷺ فقأ عين الناظر في دار المسلم بغير اذن ومحال أن يعلم موسى عليه السلام أنه ملك الموت ويفقأ عينه . وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم عليه السلام فلم يعرفهم ابتداء ولو علمهم لكان من المحال أن يقدم إليهم عجلا لأنهم لا يطعمون .

---

(١) ابن الجوزي : فضائل القدس تحقيق الدكتور جبرائيل جبور ـ منشورات دار الافاق ببيروت ص ٩٧

(٢) رواه البخاري في صحيحه ٩٢/٢ ، ومسلم في صحيحه ١٨٤٢/٤

بعد دفع هذا الاشكال في معنى هذا الحديث نبين موطن الشاهد وهو سؤال موسى ربه أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر .

والأرض المقدسة هنا بلاد الشام عامة وبيت المقدس خاصة لفضل من دفن فيها من الأنبياء فاستحب مجاورتهم في الممات . فإن قيل: لم سأل الإدناء منها ولم يسأل الدفن فيها ؟ أجيب : بأن موسى عليه السلام إنما طلب ذلك عندما كان في أرض التيه مع جيل الهزيمة من اليهود الذين فسدت طبائعهم نتيجة ظلم الفراعنة لهم حيث طبعت فطرهم بطابع المهانة والذل والجبن والعبودية للبشر . فتركهم الله تعالى في التيه أربعين سنة إلى أن أفناهم الموت . والأصل أن النبي يدفن حيث يموت ولا ينقل(١) .

فلما كان موسى عليه السلام يعرف أن فتح بيت المقدس لا يمكن أن يتحقق على يد جيل الهزيمة الذي خرج من مصر؛ سأل الله أن يقربه من بيت المقدس ليدفن بالقرب من الأنبياء والصالحين .

وقيل : لأنه خاف أن يكون قبره مشهوراً عند بني إسرائيل فيفتتنوا به(٢) .

ومن الأدلة على أن أرض فلسطين معدن الأنبياء أن الله عز وجل جمعهم لنبينا محمد ﷺ، وصلى بهم إماماً في المسجد الأقصى ، روى ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما دخل المسجد الأقصى قام يصلي فالتفت ثم التفت فإذا النبيون أجمعون يصلون معه »(٣) . وقال ابن كثير : « بيت المقدس الذي بإيلياء معدن

---

(١) انظر : العيني عمدة القاري ـ دار الفكر ببيروت ٨ / ١٤٩ .
(٢) انظر : النووي : شرح صحيح مسلم ـ المطبعة المصرية بالقاهرة ١٥ / ١٢٨ .
(٣) مسند الامام احمد ١ / ٢٥٧ .

الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل عليه السلام ، ولهذا جمعوا له هناك كلهم فأمهم في محلتهم ودارهم فدل على أنه الإمام الأعظم والرئيس المقدم »[1] .

وقال أبو عبدالله المنهاجي « يسّر الله الأنبياء كلهم لرسول الله ﷺ فصلى بهم في بيت المقدس »[2] .

مما سبق يتبين أن أرض فلسطين مباركة لكثرة ما دفن فيها من الأنبياء والصالحين حتى أن بعضهم أوصى أن يدفن فيها ، وبعضهم طلب من الله أن يدفن في أرض قريبة منها . قال النووي : « وأما سؤاله - أي موسى عليه السلام - الإدناء من الأرض المقدسة فلشرفها وفضيلة من فيها من المدفونين من الأنبياء وغيرهم[3] .

٣ ـ أرض فلسطين أرض المحشر والمنشر .

روى الإمام أحمد بن حنبل - بسنده - عن ميمونة بنت سعد مولاة النبي ﷺ قالت : يا نبي الله أفتنا في بيت المقدس فقال : « أرض المحشر والمنشر[4] .

فبعد أن يخرج الناس من قبورهم يوم القيامة يساقون إلى بيت المقدس أرض الموقف لينتظروا فصل القضاء بينهم ، وفي الموقف يصيب الخلائق كرب شديد،فقد روى المقداد بن الأسود عن رسول الله ﷺ أنه قال : « تدنى الشمس

---

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٣ / ٢ .

(٢) ابو عبدالله المنهاجي : اتحاف الاخصا ١ / ١٠٨ .

(٣) النووي : شرح مسلم ١٥ / ١٨ .

(٤) رواه الامام أحمد في مسنده ٦ / ٤٦٣ ، وابن ماجه في سننه كتاب الاقامة ١ / ٤٢٩ وهو حديث صحيح .

يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق ، فمنهم من يكون إلى كعبية ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً ، وأشار ﷺ بيده إلى فيه »[١] . وفي أثناء ذلك يكون أناس في ظل الله عز وجل كما أخبر النبي ﷺ : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته إمرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه »[٢] .

وبعد العرض على الموازين والحساب يتفرق الناس من بيت المقدس إما إلى الجنة وإما إلى النار . وذلك قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾[٣] .

قال أبو عبدالله المنهاجي : « وتوضع الموازين يوم القيامة ببيت المقدس وينفخ إسرافيل في الصور ببيت المقدس . . ويتفرق الناس من بيت المقدس إلى الجنة والنار »[٤] .

وقال ابن الجوزي : قال كعب : « العرض والحساب ببيت المقدس »[٥]

---

(١) رواه مسلم في صحيحه. انظر مسلم بشرح النووي ١٧ / ١٩٦ .
(٢) رواه مسلم في صحيحه ، انظر مسلم بشرح النووي ٧ / ١٢٠ .
(٣) آية ١٤ من سورة الروم.
(٤) ابو عبدالله المنهاجي : اتحاف الاخصا ١ / ص ١٠٧
(٥) ابن الجوزي: فضائل القدس ص ١٣٧ .

ثانياً : آثار البركة المعنوية لأرض بيت المقدس وما حوله

يترتب على كون أرض فلسطين أرض مباركة عدة آثار منها : أنها عَقْر دار الإسلام في وقت اشتداد المحن والفتن ، والمقيم المحتسب في تلك الأرض كالمجاهد في سبيل الله والمرابط ، وأهلها منصورون بإذن الله ما داموا على الحق المبين ينتقم الله بهم من أعداء الدين .

١ ــ أرض فلسطين عَقْر دار الإسلام وقت اشتداد المحن والفتن .

تعتبر أرض فلسطين ملجأ للأنبياء والصالحين يهاجرون إليها ويحتمون بحماها عند اشتداد المحن والشدائد ، فقد هاجر إليها خليل الرحمن إبراهيم وابن أخيه لوط عليهما السلام ، لعدم التمكن من إظهار الدين ونشره في أرض العراق . وخرج موسى عليه السلام تجاه بيت المقدس عندما اشتد به أذى فرعون وجنوده .

ويظل هذا الأثر ملازماً لهذه الأرض ما دامت تتصف بالبركة الإلهية ، وهي لا تنقطع مادامت السماوات والأرض . وقد نبه النبي ﷺ المؤمنين على ذلك في عدة أحاديث صحيحة منها :

أ ــ روى الطبراني عن سلمة بن نفيل قال : « قال رسول الله ﷺ : « عَقْر دار الإسلام بالشام »[1] .

فالشام وقت اشتداد الفتن هي المكان الآمن لأهل الإسلام .

ب ــ عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : إني

(١) حديث صحيح رواه الطبراني ورجاله ثقات (انظر الهيثمي : مجمع الزوائد ١٠ / ٦٠) .

رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي ، فنظرت فإذا هو نور ساطع عمد به إلى الشام ألا إن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام »[1] .

جـ ـ وعن سالم بن عبدالله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ستخرج نار في آخر الزمان من حضرموت تحشر الناس . قلنا : فبماذا تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : « عليكم بالشام »[2] .

٢ ـ المقيم المحتسب في أرض فلسطين كالمجاهد في سبيل الله والمرابط .

من آثار بركة أرض فلسطين أن المقيم فيها يعتبر مجاهداً في سبيل الله ومرابطاً ، لأن هذه الأرض عرضة للغزو في كل وقت لمكانتها وشرفها فهي محل أطماع الغزاة والفاتحين ، ولذلك فهي تحتاج إلى أن يرابط فيها المرابطون فيكونوا على أهبة الاستعداد لأي طاريء .

ولهذا كان قدر أهل الشام وفلسطين أنهم مرابطون إلى يوم القيامة ، روى الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « أهل الشام وأزواجهم وذرياتهم وعبيدهم وإماؤهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون في سبيل الله ، فمن احتل منها مدينة من المدائن فهو في رباط ، ومن احتل منها ثغراً من الثغور فهو في جهاد »[3] .

---

(١) حديث صحيح : اخرجه الحاكم وأبو نعيم في الحلية وقال الحاكم « صحيح على شرط الشيخين » انظر الهيثمي : مجمع الزوائد ١٠ / ٥٧ الربعي : فضائل الشام ص ١٣ .

(٢) حديث صحيح . اخرجه أحمد (٢ / ٨، ٥٣) والترمذي وابن حبان والطبراني وابو يعلي . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٦١): « رجاله رجال الصحيح » .

(٣) رواه الطبراني ، وقال الهيتمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٦٠): « فيه أرطاه ابن المنذر وبقية رجاله ثقات »

وعن عبدالله بن حوالة قال : قال رسول الله ﷺ : « ستجندون أجناداً جنداً بالشام وجنداً بالعراق وجنداً باليمن ، فقال الحوالي : يا رسول الله اختر لي ؟ قال : عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبي إليها خيرته من عباده ، فمن أبى فليلحق بيمنه وليسق من غُدُرِه[1] فإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله »[2] .

فقوله ﷺ « عليك بالشام » أي الزم الإقامة في أرض الشام ، لكونها موسومة بالبركة ، ولأن الله قد تكفل لأهل الشام بالأجر والمثوبة على صبرهم ورباطهم في سبيل الله .

ضرورة وجود نية الرباط عند المقيم في أرض الشام

ولا يعتبر كل مقيم في أرض الشام عامة وفلسطين خاصة مرابطاً في سبيل الله إلا إذا كان محتسباً وناوياً للرباط أو الجهاد في سبيل الله تعالى ، إذا كان من أهل النية والاختيار ، لقوله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امريء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه »[3] . وقال ابن قدامة : « إن الرباط يقل ويكثر فكل مدة أقامها بنية الرباط فهو رباط قل أو

---

(١) وليسق من غدره : الغدر جمع غدير وهو الحوض والمعنى ان تتخذ كل جماعة من أهل الشام غديرا وتلتزم به ولا تزاحم الجماعة الاخرى على غديرها لئلا يكون ذلك سبيلا إلى الاختلاف وتهييج الفتن .

(٢) حديث صحيح . رواه أحمد وأبو داود (انظر جامع الاصول ٩ / ٣٥٠ ، مجمع الزوائد ١٠ / ٥٨ فضائل الشام للربعي ص ١١ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ١ / ٢ .

كثر ، ولهذا قال النبي ﷺ : « رباط يوم » و « رباط ليلة » وقال أحمد : « يوم رباط وليلة رباط وساعة رباط »[1] .

فضل الرباط في سبيل الله تعالى

بيَّن النبي ﷺ في عدة أحاديث صحيحة فضل الرباط في سبيل الله تعالى ، فالذي يقيم في ثغر من ثغور الإسلام بنية حفظ ذلك الثغر ودفع العدو ، له ثواب عظيم يفوق ثواب الصائم القائم ، وإذا توفي أجير من فتنة القبر ، ويرزق كما يرزق الشهداء الذين تكون أرواحهم في حواصل الطير تأكل من ثمر الجنة . ومن الأحاديث التي وردت في فضل الرباط :

١ ــ عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها »[2] .

٢ ــ وعن سلمان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات فيه أُجرِيَ عليه عمله الذي كان يعمل ، وأُجرِيَ عليه رزقه ، وأمن الفتان »[3] .

٣ ــ وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كل

---

(١) ابن قدامة : المغنى ٨ / ٣٥٤ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ٣ / ٢٢٤ .

(٣) رواه مسلم في صحيحه ٣ / ١٥٢٠ وأحمد في مسنده ٢ / ٢٠٤ .

ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمي له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن فتنة القبر »[1] .

فقوله ﷺ « أجرى عليه عمله » أو « نمي له عمله » يدل على أن العمل الذي مات عليه وهوالرباط في سبيل الله يقع أجره على الله ، ولا ينقطع ثوابه إلى يوم القيامة وهذا لا يتعارض مع قوله ﷺ « إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث » ، لأنه لا مفهوم للعدد في الثلاث ، أو لأن هذا العمل يرجع إلى إحدى الثلاث هنا وهو صدقة جارية[2] .

٣ ـ أهل الشام هم الطائفة المنصورة التي ينتقم الله بها من أعدائه .

روى البخاري عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال ـ وهو يخطب ـ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك »[3] .

وفي رواية قال : قال رسول الله ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على ما ناوأهم ـ أي ناهضهم وعاداهم ـ إلى يوم القيامة »[4] .

اختلف العلماء في بيان المراد بالطائفة أو الأمة المنصورة فقال البخاري : هم أهل العلم ، وقيل هم أهل الحديث . وقال البيضاوي : هم المجتهدون في

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٤ / ١٦٥) وقال حسن صحيح .

(٢) انظر : النووي:شرح صحيح مسلم ١٣ / ٦٠ ، المناوي : فيض القدير ٥ / ٣٤ ، السرخسي : شرح السير الكبير ١ / ٩ .

(٣) شرح العيني على البخاري ٢٥ / ٤٨ ، جامع الاصول لابن الاثير ٩ / ٣٥١ .

(٤) المرجع السابق ، صحيح مسلم ٣ / ١٥٢٤ .

الأحكام الشرعية والعقائد الدينية أو المرابطون في الثغور والمجاهدون لإعلاء الدين[1] . وقال ابن يخامر : سمعت معاذاً يقول هم أهل الشام أو بالشام[2] .

ويؤيد ما ذهب إليه معاذ بن جبل رضي الله عنه عدة أحاديث منها :

أ ـ ما روى الترمذي عن معاوية بن قرة عن أبيه رضي الله عن قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم ، ولا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » . وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قلت يا رسول الله أين تأمرني ؟ قال : ها هنا ونحا بيده نحو الشام[3] .

ب ـ وما روى الإمام أحمد عن أبي أمامة مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ قال : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لعدوهم قاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك . قيل يا رسول الله أين هم ؟ قال : ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس »[4] .

جـ ـ ما روى أبو يعلي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله ، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله ، لا يضرهم خذلان من خذلهم ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة[5] .

---

(١) شرح العيني على البخاري ٢٥ / ٤٨ ، المناوي : فيض القدير ٦ / ٣٩٦ .
(٢) ابن الاثير : جامع الاصول ٩ / ٣٥١ .
(٣) سنن الترمذي ٤ / ٤٨٥ وقال : حديث حسن صحيح ، ابن الأثير : جامع الاصول ٩ / ٣٥١ .
(٤) رواه الامام أحمد في مسنده ٥ / ٢٦٩ .
(٥) الهيثمي · مجمع الزوائد ١٠ / ٦٠ وقال : « رجاله ثقات » .

د ـ وروى الطبراني عن خريم بن فاتك الأسدي صاحب رسول الله ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « أهل الشام سوط الله في أرضه ينتقم بهم ممن يشاء من عباده ، وحرام على منافقيهم أن يظهروا على مؤمنيهم ولا يموتوا إلا هماً وغماً »[1] .

هـ ـ وروى الإمام مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة »[2] .

قال الأمام أحمد : هم أهل الشام[3] . وقال ابن تيمية مؤيداً الإمام أحمد : وهو كما قال لوجهين :

أحدهما : أن في سائر الحديث بيان أنهم أهل الشام .

والثاني : أن لغة النبي ﷺ في أهل الغرب هم أهل الشام ومن يغرب عنهم كما أن لغتهم في أهل المشرق هم أهل نجد والعراق ، فإن المغرب والمشرق من الأمور النسبية ، فكل بلد له غرب قد يكون شرقاً لغيره ، وله شرق قد يكون غرباً لغيره ، فالاعتبار في كلام النبي ﷺ لما كان غرباً وشرقاً له حيث تكلم بهذا الحديث وهي : المدينة .

ومن علم حساب الأرض بطولها وعرضها علم أن حران والرقة وسميساط[4] على سمت مكة ، وان الفرات وما على جانبها من البيرة[5] بينهما في

---

(١) الهيثمي : مجمع الزوائد (١٠ / ٦٠ ـ ٦١) وقال رجاله ثقات .
(٢) رواه مسلم في صحيحه ٣ / ١٥٢٥ .
(٣) ابن قدامة : المغنى ٨ / ٣٥٥ .
(٤) سميساط : مدينة على شاطيء الفرات الغربي في طرف بلاد الروم (معجم البلدان) .
(٥) البيرة : بلد فيه قلعة قرب سميساط .

الطول درجتين اثنتين فما كان غربي الفرات فهو غربي المدينة وما كان ثم شرقها فهو شرق المدينة .

فأخبر أن أهل الغرب لا يزالون ظاهرين ، وأما أهل الشرق فقد يظهرون تارة ويغلبون أخرى ، وهكذا هو الواقع فإن الجيش الشامي مازال منصوراً »[1] .

وقد ظهر مصداق هذه النصوص على أكمل الوجوه في جهاد أهل الشام للصليبيين والتتار ، فأيد الله المسلمين ونصرهم على أعدائهم أعداء الدين عندما نصروا الله ونبذوا ما بينهم من خلافات والتزموا بهدي كتاب الله وسنة نبيه ﷺ .

---

(١) ابن تيمية : مناقب الشام وأهله مع فضائل الشام للربعي ـ المكتب الاسلامي ص ٧٦ ـ ٧٧

المبحث الثاني

قدسية أرض بيت المقدس وما حوله

لقد نص الله تعالى على قدسية هذه الأرض في كتابه الكريم ، فقال على لسان موسى عليه السلام : ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾(١) .

معنى القدسية :

المقدسة في الآية بمعنى المطهرة ، وقيل بمعنى المباركة ، والمعنى الأول أصح ، لأن أصل التقديس التطهير فالقُدس بمعنى الطهر ، ويقال للسطل الذي يتطهر به قَدَس ، وقال تعالى : ﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ أي نطهر أنفسنا لك . ومن هذا بيت المقدس ـ كما قال الزجاج والجوهري(٢) .

وقال الأصفهاني : « التقديس التطهير الإلهي المذكور في قوله تعالى : ﴿وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ دون التطهير الذي هو إزالة النجاسة المحسوسة ، والبيت المقدس : هو المطهر من النجاسة أي من الشرك ، وكذلك الأرض المقدسة »(٣) فالقدسية بمعنى الطهارة من الشرك والظلم والعدوان والعلو في الأرض .

---

(١) آية ٢١ من سورة المائدة .

(٢) النووي : تهذيب الاسماء واللغات ـ دار الكتب العلمية ببيروت ٤ / ١٠٩ .

(٣) الاصفهاني : المفردات في غريب القرآن ـ مكتبة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ص ٣٩٧ .

أولاً: منشأ قدسية أرض بيت المقدس وما حوله

ترجع قدسية أرض فلسطين إلى كونها أرض المسجد الأقصى والصخرة المشرفة ، وهما موجودان قبل بعثة سيدنا موسى وعيسى عليهما السلام أي قبل بناء هيكل يهود ، وكنيسة المهد الموجودة في بيت لحم وكنيسة النصارى الموجودة في القدس والمعروفة بكنيسة القيامة ، والتي كانت تعرف بكنيسة القمامة نسبة إلى المكان الذي كانت اليهود صلبوا فيه المصلوب وجعلوا يلقون على قبره القمامة[1] .

١ ـ أرض فلسطين أرض المسجد الأقصى .

يعتبر بيت المقدس ثاني مساجد الدنيا وجوداً بعد المسجد الحرام لما روى البخاري في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول ؟ قال : المسجد الحرام . قال : قلت : ثم أي ؟ قال : المسجد الأقصى . قلت : كم كان بينهما ؟ قال أربعون سنة»[2] .

فإن قيل : الثابت أن الذي بنى المسجد الأقصى هو سليمان عليه السلام وبينه وبين إبراهيم عليه السلام أكثر من ألف سنة ، لما روى النسائي عن عبدالله ابن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ :« إن سليمان عليه السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله خلالاً ثلاثا فأعطاه اثنتين وأرجو أن يكون أعطاه الثالثة . سأله ملكاً لا ينبغي لأحد بعده ، فأعطاه إياه ، وسأله حكما يواطيء حكمه ، فأعطاه إياه . وسأله من أتى هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه أن يخرج من

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ٢ / ١٠١ ، ٧ / ٥٦ .

(٢) الحديث متفق عليه . انظر صحيح البخاري ٤ / ١١٧، جامع الاصول لابن الاثير ٩ / ٢٧٥ .

الذنوب كيوم ولدته أمه فقال رسول الله ﷺ : وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة »[1] .

وقد أجيب عن ذلك الاشكال بأن بيت المقدس أسس قبل أن يبنيه سليمان عليه السلام ، وما كان بناء سليمان للمسجد الأقصى إلا تجديداً له كما فعل إبراهيم عليه السلام في المسجد الحرام .

قال القرطبي : « إن الآية ـ أي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾[2] ، والحديث لا يدلان على أن إبراهيم وسليمان عليهما السلام ابتدآ وضعهما بل كان تجديداً لما أسس غيرهما »[3] .

واختلف في أول من أسس بيت المقدس ، فروي أن أول من بنى البيت ـ يعني المسجد الحرام ـ آدم عليه السلام فيجوز أن يكون ولده وضع بيت المقدس من بعده بأربعين عاماً[4] .

ويحتمل أن تكون الملائكة قد بنت بيت المقدس بعد بنائها البيت الحرام بإذن الله ، ويؤيد ذلك ما روى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : « أمر الله تعالى الملائكة ببناء بيت في الأرض ، وأن يطوفوا به ، وكان هذا قبل خلق آدم ، ثم إن آدم بنى منه ما بنى ، وطاف به ثم الأنبياء بعده ثم استتم بناءه إبراهيم عليه السلام »[5] .

والاحتمالان واردان والله أعلم .

---

(١) الحديث أخرجه أيضاً ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط الشيخين .

(٢) آية ١٢٧ من سورة البقرة .

(٣) انظر : القرطبي : الجامع لاحكام القرآن ٤ / ١٣٨ ، العيني : عمدة القاري ١٥ / ٣٦٢ .

(٤) القرطبي : المرجع السابق .

(٥) القرطبي : المرجع السابق .

أسماء بيت المقدس

ويرجع سبب تسمية بيت المقدس إلى أنه المكان الذي يتطهر فيه أولياء الله من الذنوب والمعاصي . أو إلى أنه المكان الخالي من الشرك والأصنام ، ولذلك كانت الملائكة تؤمه وتطوف به ، وكان الأنبياء عليهم السلام يعبدون الله فيه ، ويقربون القرابين فيه .

ذكر ابن الأثير في الكامل : «أنه أصاب الناس في زمان داود طاعون جارف ، فخرج بهم إلى موضع بيت المقدس ، وكان يرى الملائكة تعرج منه إلى السماء ، فلهذا قصده ليدعو فيه فلما وقف موضع الصخرة دعا الله تعالى في كشف الطاعون عنهم فاستجاب له ورفع الطاعون فاتخذوا ذلك الموضع مسجداً ، وكان الشروع في بنائه لإحدى عشرة سنة مضت من ملكه وتوفى قبل أن يستتم بناءه وأوصى إلى سليمان بإتمامه »[1] .

وقد أطلق على بيت المقدس أكثر من عشرين اسماً ، وكثرة الاسماء إن دلت على شيء فهي تدل على شرف هذا المكان وقداسته ، ومن هذه الأسماء :

المسجد الأقصى : وسمي بذلك لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام فهي تبلغ حوالي مسيرة شهر أو لكونه لا مسجد وراءه .

وبيت القدس ، ومسجد إيلياء ، وسلم ، لكثرة سلام الملائكة فيه ، وأورشلم : أي دار السلام ، وأورشليم ، وبيت إيل وصهيون ، ومصروت ، وبابوش ، وصلمون ، وكورسيلا والقرية[2] .

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ١ / ١٢٧ .

(٢) أنظر الزركشي : إعلام الساجد باحكام المساجد ـ دار التحرير للطباعة بالقاهرة ١٩٨٤ هـ ص ٢٧٧ ، الجراعي : تحفة الراكع والساجد في احكام المساجد ، المكتب الاسلامي ط ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م ص ١٨٤ ، المنهاجي : اتحاف الاخصا ١ / ٩٣ .

٢ ـ أرض فلسطين أرض الصخرة المشرّفة .

تعتبر الصخرة المشرفة في بيت المقدس كالحجر الأسود في البيت الحرام فهي مقدسة ومشرفة ، ومصدر قدسيتها أن الملائكة يصعدون منها إلى السماء ، وهي المكان الذي صعد منه النبي ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج إلى السماوات العلى ، وهي المكان الذي ينادى منه الناس يوم القيامة ، لقربها من السماء ، ويؤيد ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾[1] ، حيث قال المفسرون : المنادي إسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي يا أيها الناس : هلموا إلى الحساب إن الله يأمركم أن تجتمعوا لفصل القضاء وهذه هي النفخة الأخيرة[2] .

قال قتادة : قال كعب الأحبار : يأمر الله تعالى ملكاً أن ينادي على صخرة بيت المقدس : أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة إن الله تعالى يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء[3] .

وروى عن ابن عباس ومكحول وكعب وأنس بن مالك أن صخرة بيت المقدس من صخور الجنة[4] .

وقد بحثت عن هذا الأثر في كتب الحديث المتوفرة لديَّ فلم أعثر عليه .

---

(١) آية ٤١ من سورة ق .

(٢) انظر : ابن الجوزي : زاد المسير ٨ / ٢٤ ، القرطبي : الجامع لاحكام القرآن ١٧ / ٢٧ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٣٠ .

(٣) ابن كثير : المرجع السابق .

(٤) ابن الجوزي : فضائل القدس ص ١٣٩ .

ثانياً : أثر قدسية أرض بيت المقدس وما حوله .

لقد ترتب على كون أرض بيت المقدس طاهرة أنها لا تقبل شركاً ولا عدواناً ولا ظلماً ولا علواً في الأرض ، ولا يدخلها الدجال في آخر الزمان .

١ ـ أرض بيت المقدس لا تقبل شركاً ولا ظلماً ولا عدوانا .

كان من أثر قدسية هذه الأرض خلو بيتها المشرف من الأصنام والأوثان في غالبية العصور والدهور ، وهي لا تتحمل الظلم والعدوان ، ولم تمكن للأمم العاتية من العيش فيها ولا الاستقرار عليها ، ويقصر عمر الدول الظالمة فيها ، وتنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد ، ومن الأدلة على ذلك :

أ ـ قوله تعالى على لسان موسى : ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾[1] .

لقد رفضت تلك الأرض المقدسة دخول بني إسرائيل إليها ، لما كان عليه معظم جنود موسى عليه السلام من شرك في العقيدة ، وفساد في الفطرة وخبث في الطوية .

فقد توجهوا لفتح بيت المقدس بعد أن صنعوا عجلا من حلي نسائهم ليعبدوه . قال تعالى في بيان فساد عقيدتهم : ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ

(١) الآيتان ٢١ ، ٢٢ من سوة المائدة.

وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾[1] ، كما توجهوا لفتح تلك المدينة بعد أن فسدت طبائعهم نتيجة ظلم الفراعنة لهم حتى غدت فطرهم مطبوعة بطابع المهانة والذل والعبودية للبشر ، ويدل على فساد طبيعتهم قولهم لنبي الله موسى عليه السلام : « إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون » . وكانت نتيجة هذا الانحراف في العقيدة والفساد في الفطرة أن ارتدوا على أدبارهم فانقلبوا خاسرين أذلاء في الدنيا ، كما باءوا بغضب الله تعالى في الآخرة .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾[2] .

جاء في تفسير المنار : « المعروف أن الشعوب التي تنشأ في مهد الاستبداد وتساس بالظلم والاضطهاد تفسد أخلاقها ، وتذل نفوسها ، ويذهب بأسها وتضرب عليها الذلة والمسكنة ، وتألف الخضوع وتأنس المهانة ، وإذا طال عليها أمد الظلم تصير هذه الأخلاق موروثة ومكتسبة حتى تكون كالغرائز الفطرية والطبائع الخلقية ، إذا أخرجت صاحبها من بيئتها ورفعت عن رقبته نيرها ألفيته ينزع بطبعه إليها ويتفلت منك ليقتحم فيها وهذا شأن البشر في كل ما يألفونه ويجرون عليه من خير وشر وإيمان وكفر ، وقد ضرب النبي ﷺ مثلا لهدايته وضلال الراسخين في الكفر من أمة الدعوة فقال : « مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها ، ويجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقحمون فيها » رواه الشيخان[3] .

---

(١) الآية ١٤٨ من سورة الأعراف.

(٢) الآية ١٥٢ من سورة الأعراف.

(٣) محمد رشيد رضا: تفسير المنار ـ دار المعرفة ببيروت ٦ / ٣٣٧ .

ب ـ قوله تعالى : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾(١) .

فقد أخبر الله تعالى عن بني إسرائيل أنهم لما طغوا وبغوا سلط الله عليهم عدوهم فاستباح بيضتهم ، وسلك خلال بيوتهم وأذلهم وقهرهم جزاء وفاقاً ، وما ربك بظلام للعبيد فإنهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقاً من الأنبياء والعلماء .

قال ابن الاثير : « إنما السبب الكلي الذي احدث هذه الاسباب الموجبة للانتقام من بني إسرائيل هو معصية الله ومخالفة أوامره وكانت سنة الله تعالى في بني إسرائيل أنه إذا ملك عليهم ملكاً أرسل معه نبياً يرشده ويهديه إلى أحكام التوراة ، فلما كان قبل مسير بختنصر إليهم كثرت فيهم الأحداث والمعاصي وكان الملك فيهم « يقونيا بن يوياقيم » فبعث الله إليه « أرميا » فأقام فيهم يدعوهم إلى الله وينهاهم عن المعاصي ، ويذكر لهم نعمة الله عليهم بإهلاك «سنحاريب» فلم يرعوا فأمره الله أن يحذرهم عقوبته وإنهم إن لم يرجعوا للطاعة سلط عليهم من يقتلهم ويسبي ذراريهم ويخرب مدينتهم ويستعبدهم ويأتيهم بجنود ينزع من قلوبهم الرأفة والرحمة ، فلم يرجعوا فأرسل الله إليه لأقيضن لهم فتنة تذر الحليم فيهم حيران ويضل فيها رأي ذي الرأي وحكمة الحكيم ولأسلطن عليهم جباراً قاسياً عاتياً ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل

(١) الآيات من ٤ ـ ٨ من سورة الاسراء .

وعساكر مثل قطع السحاب يهلك بني إسرائيل وينتقم منهم ويخرب بيت المقدس »[1] .

هذه هي الوقعة الأولى ، وأما الوقعة الثانية التي حدثت لبني إسرائيل فقد كانت بعد مقتل «بختنصر» وعودة بني إسرائيل إلى مدينة بيت المقدس ، وبمجرد أن كثر عددهم واستقر لهم الوضع عادوا إلى المعاصي والعلو في الأرض فقتلوا يحيى وزكريا عليهما السلام فسلط الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له « خردوس » فاستباح بيضتهم وأعمل فيهم القتل، وسبى ذراريهم ونساءهم وخرب بلادهم[2] .

ولم يقف الأمر عند هاتين الوقعتين ، بل تعرض اليهود لعدة غزوات من الفرس والروم، وفي كل مرة يتشتت شملهم وتتمزق وحدتهم وتزول دولتهم، وذلك بسبب عودتهم إلى الفساد والعلو في الأرض «وإن عدتم عدنا».

جـ ــ وقد سجل التاريخ الهزائم والنكبات التي حلت بالدول التي تعاقبت على الأرض المقدسة عند تماديها في الظلم والعدوان، فقد تعرض الفرس الذين حكموا فلسطين في القرن الأول قبل الميلاد إلى أشنع هزيمة على يد الرومان. وقد كانت هذه الحقيقة واضحة جلية لدى رجال الدين النصراني الذين خلفوا الفرس، واتخذوها مادة لهم لتذكير الناس بها كلما تعرضت تلك المدينة إلى اعتداء خارجي، أو حاد أهلها عن المنهج الصحيح. فحينما وصل كتاب النبي ﷺ إلى «هرقل» وهو في القدس وعظ النصارى فيما كانوا قد بالغوا في إلقاء القمامة على الصخرة حتى وصلت إلى محراب داود وقال لهم : «إنكم لخليق إن تقتلوا على هذه

---

(١) ابن الاتير: الكامل في التاريخ ١ / ١٤٨.

(٢) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٢٢١/١٠ .

الكناسة مما امتهنتم هذا المسجد كما قتلت بنو إسرائيل على دم يحيى بن زكريا »[١]، ولما حاصر أبو عبيدة بيت المقدس وشدد في الحصار خرج إليه بطريرك بيت المقدس «صفرونيوس» فقال: «ماذا تريدون منا في هذه البلدة المقدسة؟ ومن قصدها يوشك أن الله يغضب عليه ويهلكه »[٢] ، ولما سلم بيت المقدس إلى عمر بن الخطاب بكى، فقال له عمر رضي الله عنه: «لا تحزن هوّن عليك فالدنيا دواليك يوم لك ويوم عليك» فقال «صفرونيوس»: «أظننتني على ضياع الملك بكيت والله ما لهذا بكيت وإنما بكيت لما أيقنت أن دولتكم على الدهر باقية ترق ولا تنقطع فدولة الظلم ساعة، ودولة العدل إلى قيام الساعة، وكنت حسبتها دولة فاتحين تمر ثم تنقرض مع السنين »[٣] . وقال كعب الأحبار لعمر رضي الله عنه: «يا أمير المؤمنين إنه قد تنبأ على ما صنعت اليوم ـ فتح بيت المقدس ـ نبي منذ خمسمائة سنة . فقال: وكيف؟ فقال: إن الروم أغاروا على بني إسرائيل، فأديلوا عليهم فدفنوه ثم أديلوا فلم يفرغوا له حتى أغارت عليهم فارس فبغوا على بني إسرائيل ثم أديلت الروم عليهم إلى أن وليت »[٤] .

لقد أصبحت هذه الحقيقة سنة ماضية في الأمم والدول إلى يوم القيامة فكل دولة تبغي وتفسد في الأرض عامة والمقدسة خاصة مصيرها إلى زوال ـ بإذن الله ـ «وإن عدتم عدنا» فلما تفرق المسلمون، وانقسموا إلى دولتين: عباسية في بغداد، وفاطمية في القاهرة في القرن الخامس الهجري، وأصبحت كل دولة تعمل من أجل توسيع مساحة زعامتها في المنطقة الإسلامية حتى انعكس هذا الصراع على بقية الأقاليم الإسلامية وبخاصة بلاد الشام، سلط الله عليهم

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٧ / ٥٦ .

(٢) الواقدي: فتوح الشام.

(٣) عبدالله التل: خطر اليهودية على الإسلام والمسيحية ص ١٢٩ .

(٤) الطبري: تاريخ الامم والملوك ٤ /١٦١ .

الصليبيين الذين اندفعوا كالموج المتلاطم إلى العالم الإسلامي فهزموا المسلمين ونكلوا بهم وأنشأوا إمارات صليبية في قلب العالم الإسلامي.

إن السبب الأكبر لنجاح الصليبيين لم يرجع فحسب إلى كثرة عددهم، وإلى ما تلقوه من مساعدات من الدولة البيزنطية، بل يرجع أساساً إلى تفرق المسلمين وتفككهم من الناحيتين الدينية والسياسية، ففي الوقت الذي كانت فيه القوات الصليبية تشق طريقها نحو الشرق العربي الإسلامي اشتد النزاع بين الخلافتين، ذلك النزاع الذي يعود إلى الخلاف المذهبي ـ أي سني وشيعي ـ ولقد كان هذا الحال معروفاً جيداً من قبل الصليبيين، ولذلك كان توقيت الحملة الصليبية الأولى في ظروف سادها التفكك الإسلامي السياسي والديني[١] .

لقد أدت هذه الخلافات بين المسلمين إلى ضعف مواجهة التحديات الصليبية، فكان هناك أمير يحارب، وأمير يسالم، وأمير يهادن وآخر يسلم، وأخير يستغل الاوضاع التي يعاني منها أخوه ليهاجم أرضه ويتوسع على حسابه[٢] .

ولما طغى الصليبيون وبغوا في الأرض سلط الله عليهم القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي، فاستباح بيضتهم، ودمر إماراتهم، وحرر المسجد الأقصى من قبضتهم.

ومن المعلوم أن هذا الانتصار الباهر لم يتحقق إلا بعد أن قام صلاح الدين بجهد مضن وعمل متواصل في سبيل توحيد الصف الإسلامي وتطهير تصورات المسلمين ومعتقداتهم مما علق بها من مفاهيم خاطئة، وشعارات زائفة، وقناعات منحرفة .

---

(١) آرنست باركر ـ الحروب الصليبية ص ٣٢-٣٣.

(٢) كمال الاسطل: مستقبل اسرائيل بين الاستئصال والتذويب ـ دار الموقف العربي ـ القاهرة ـ ص ١٣١.

وهكذا دواليك فإن الله لا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة ويسلط عليها الظالمين إلى أن ترجع عن غيها وظلمها ، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[١] ، أي نسلط بعضهم على بعض كما قال ابن زيد[٢] .

وقد عاد اليهود في هذا العصر إلى فلسطين أرض بيت المقدس وأقاموا عليها دولتهم، وأسسوا فيها حضارتهم ، واتخذوها مركزاً لتجميع بني جنسهم ووكراً لتدبير دسائسهم ومؤامراتهم ضد الإنسانية عامة والمسلمين خاصة، كما اتخذوها منطلقا لاعتداءاتهم الغاشمة على كل من يعارض سياستهم العدوانية أو يقف في طريق مخططاتهم التدميرية، فقتلوا النفوس البريئة ويتموا الأطفال، وسجنوا النساء وهدموا البيوت، واغتصبوا الأرضين وأحرقوا المسجد الأقصى ودنسوا المسجد الإبراهيمي في الخليل، وحولوا المساجد إلى حانات للخمور ونواد ليلية تمارس فيها الفاحشة بجميع صورها وأشكالها، وعمدوا إلى إزالة الآثار الإسلامية التي تتزين بها مدينة القدس كالمدارس التاريخية، والزوايا والتكايا والأحياء الإسلامية القديمة كحي المغاربة، والمقابر الإسلامية التي تضم أجساد الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين، وهم ماضون في مخطط هدم المسجد الأقصى وإزالته نهائيا من أرض القدس، ويؤيد ذلك تلك المحاولات الصهيونية لتدمير المسجد الأقصى وهي :

ـ في يوم الخميس ١٩٦٩/٨/٢١ كانت المحاولة الأولى لتدمير المسجد الأقصى، فقد قام شاب زعموا أنه مسيحي استرالي مجنون بإضرام النار في المسجد الأقصى المبارك، فاشتعلت فيـه النيران وارتفعت أعمدة الدخان إلى مئات

---

(١) آية ١٢٩ من سورة الانعام.

(٢) ابن الجوزي: زاد المسير ٣ /١٢٤.

الأقدام. وقد أسفرت هذه الجريمة عن إحراق منبر صلاح الدين بأكمله وهو المنبر الذي صنع في حلب أيام نور الدين محمود ليقدمه هدية إلى المسجد الأقصى الذي كان الصليبيون قد حولوه إلى كنيسة، وكذلك إحراق السطح الشرقي الجنوبي للمسجد. . وقد اكتفت سلطات الاحتلال باعتقال المجرم «دينيس روهان» ومحاكمته حيث ادعت بأنه مجنون وأطلقت سراحه فسافر إلى الخارج، ثم عاد بعدها للاستقرار في فلسطين المحتلة.

ومن الأدلة على تواطؤ سلطات الاحتلال لحرق الأقصى أيضا: قطع المياه عن الحرم فور ظهور الحريق، وتقارير المهندسين أكدت أن الحريق نشب في أكثر من موضع وأن شخصاً واحداً لم يكن قادراً على القيام بهذا العمل بمفرده، وعدم السماح لسيارات الإطفاء من بلدية القدس، وقد بقي الحريق مشتعلا إلى أن جاءت سيارات الإطفاء من رام الله والخليل(١).

ـ وفي مايو ـ أيار ـ ١٩٨٠ قام «كاهانا» بمحاولة تفجير المسجد الأقصى بحجة الرد على عملية «الدبوية» التي نفذها رجال المقاومة في الخليل، وقد عثرت قوات الأمن صدفة على مخزن كبير للمتفجرات على سطح إحدى المدارس الدينية اليهودية في ١١/٥/١٩٨٠م، واعتقل الحاخام «كاهانا» وعدد من أتباعه بتهمة سرقة أسلحة من مستودعات الجيش والإعداد لنسف أماكن مقدسة إسلامية.

ـ وفي ٨ / إبريل ـ نيسان ـ ١٩٨٢م وضع اليهود قنبلة موقوتة عند بوابة الأقصى وإلى جانبها رسائل تهديد إلى مدير الأوقاف الإسلامية في القدس تحمل توقيع لجنة «أمناء جبل البيت» وحركة «كاخ» التي يتزعمها الحاخام «كاهانا»

---

(١) بتصرف من مقال مؤامرة على الأقصى للشيخ سعد الدين العلمي مفتى القدس ـ مجلة الامة القطرية عدد ٥٥ سنة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥ ص ٥٥.

إضافة إلى توقيع ما يسمى بروابط القرى العميلة لليهود. وتطالب التهديدات بالتوقف فوراً عن منع اليهود من الدخول إلى الأقصى للصلاة فيه، وفي حالة عدم الإذعان فإن النتيجة ستكون قاسية: وهي تفجير أقصاكم تفجيراً كاملا، والصخرة والساحات المجاورة وفي أوقات الصلاة لقتل أكبر عدد منكم.

ـ وفي ١٠ إبريل ـ نيسان ـ ١٩٨٢م حاولت مجموعة من أتباع «كاهانا» ولجنة «أمناء جبل البيت» الدخول إلى الأقصى فتصدى لهم المسلمون، وفي هذه الأثناء قام جندي إسرائيلي يدعى «ايلين جوتمان» باقتحام الحرم وهو يطلق النار مما أدى إلى قتل اثنين من حراس المسجد، وفي الوقت نفسه كان عدد كبير من الجنود الإسرائيليين يقتحمون ساحات الأقصى ويطلقون النار على المسلمين مما أدى إلى اصابة (١٢٠) مسلما بجروح، هذا بالاضافة إلى الأضرار المادية التي تعرض لها الأقصى.

ـ وفي ليلة ٢١ مارس ـ آذار ١٩٨٣م جرت محاولة يهودية عبر النفق السري الذي كشفت عنه الحفريات الجنوبية للوصول إلى ساحات المسجد الأقصى لإقامة نواة استيطانية ومركز يهودي مسلح داخل الحرم القدسي.

ـ وفي ليلة ٢٧ يناير ـ كانون الثاني ـ ١٩٨٤م قامت مجموعة مسلحة يهودية لأقتحام الحرم من الناحية الشرقية بالقرب من باب الرحمة إلا أن حراس المسجد اكتشفوا أمرهم قبل أن يتمكنوا من الصعود ففروا تاركين وراءهم قنابل ومتفجرات وأمتعة[١].

هذه المحاولات لم تكن مجرد أعمال فردية ولا رغبات ذاتية، وإنما هي أعمال منظمة تشرف عليها الدولة إشرافا كاملا، وتوجهها توجيها تاماً عبر رؤساء

---

(١) المرجع السابق.

الأحزاب اليهودية التي يجمعها هدف واحد وهو العمل على تحقيق الأهداف الصهيونية في المنطقة، ففي مايو ـ أيار ـ سنة ١٩٧٧م وعد «بيغن» رئيس وزراء العدو سابقا المتدينين بأن يحقق لهم إقامة الهيكل الثالث فقال: «إن الحكومة الاسرائيلية تختبيء وراء الحركات الدينية المتطرفة لتحقيق هدفها في نسف قبة الصخرة والمسجد الأقصى، وبناء الهيكل الثالث على أنقاضها، وأن العمليات التي تجري بهذا الخصوص يجري ترتيبها بمعرفة الحكومة من أجل انضاج هذا المخطط »[١]

ولم تكن هذه التصريحات الصادرة عن « بيغن » مجرد برنامج خاص بحكومته ، وإنما هي استراتيجية عامة يتناقلها جيل عن جيل ، ويصرح بها غالبية زعماء يهود ، ومن تصريحاتهم في ذلك :

جاء في مذكرات هرتزل « عندما أتذكرك في الأيام المقبلة يا اورشليم لن يكون ذلك بسرور ، إن الرواسب العفنة لألفي سنة من اللاانسانية وعدم التسامح والقذارة تقبع في الأزقة ذات « الريحة الكريهة » « فإذا حصلنا يوماً على القدس وكنت لا أزال قادراً على القيام بأي شيء بنشاط في الوقت الذي نحصل فيه عليها ، فإن أول ما سوف أبدأ به تنظيفها تنظيفاً كاملا » .

« سوف أزيل كل شيء ليس مقدساً وأنقل بيوت العمال إلى خارج المدينة وأخلي أوكار الدعارة وأهدمها وأحرق الآثار التي مرت عليها قرون وأنقل الأسواق إلى مكان آخر »[٢] .

---

(١) نقلا عن مقال القدس في ضوء العقيدة الاسلامية لمفتي الاردن الشيخ عزالدين التميمي ـ مجلة البلاغ عدد ٨١٢ ص ٤٦ .
(٢) المرجع السابق .

وجاء في دائرة المعارف اليهودية المطبوعة باللغة الانجليزية تحت كلمة الصهيونية : « إن اليهود يبغون أن يجمعوا أمرهم ويأتوا إلى القدس ، ويتغلبوا على قوة الأعداء ويعيدوا العبادة إلى الهيكل مكان المسجد الأقصى ويقيموا ملكهم هناك »[١] .

ولم تكد الصهيونية العالمية تحصل على وعد بلفور في نوفمبر سنة ١٩١٧ بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين حتى تقدم رئيس الحاخامات اليهودي ومعه ممثل الحركة الصهيونية فيها بطلب رسمي إلى حكومة الانتداب البريطاني ، للاستيلاء على منطقة المسجد الأقصى لهدمه وبناء معبد سليمان مكانه[٢] .

وفي عام ١٩٢٩ م قال « كلونز » رئيس جمعية الدفاع عن حائط المبكى في تصريح نشرته صحيفة (بلستاين ويك) اليهودية : إن المسجد الأقصى القائم على قدس الأقداس في الهيكل إنما هو لليهود .

وفي ٢٠ / ١١ / ١٩٣٠ م بعث رئيس حاخامي رومانيا « روزنباخ » كتاباً إلى رئيس المجلس الشرعي الإسلامي ومفتي فلسطين الأكبر يطلب فيه بتسليم المسجد الأقصى لليهود ليقيموا فيه شعائرهم الدينية الأمر الذي أثار ضجة كبرى في فلسطين[٣] .

وفي نفس العام تقريباً صرح « ألفرد منه » الوزير اليهودي البريطاني حينذاك «أن اليوم الذي سيعاد فيه بناء الهيكل أصبح قريباً جداً ، وإنني اكرس ما بقي من حياتي لبناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى »[٤] .

---

(١) حسن فتح الباب : المؤامرات الصهيونية من خيبر الى القدس ص ٦٣ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع نفسه .
(٤) المرجع نفسه .

وفي عام ١٩٦٧ م أعلن دافيد بن غوريون : «أنه لا معنى لإسرائيل بدون القدس ، ولا معنى للقدس بدون انتزاع موقع الهيكل من العرب »[١] .

وفي حرب حزيران ١٩٦٧ م أسرع « شلومو غورين » حاخام الجيش الإسرائيلي إلى الحرم الشريف حاملا التوراة ، وأقام مع عدد كبير من الجنود صلاة الشكر ، وأخذ يدعو الجنود إلى الإكثار من زيارة ما يسميه « جبل الرب » وأخذ يحثهم على العمل على الإسراع في إعادة بناء الهيكل الثالث[٢] .

ويدعي اليهود أن المسجد الأقصى وفيه قبة الصخرة المشرفة يقومان في المكان الذي كان عليه هيكل سليمان .

وفي عيد الغفران عام ١٩٦٨ م قال المؤرخ اليهودي « إسرائيل الدادا » « نحن نقف الآن حيث وقف داود حين حرر القدس ، ومن ذلك الوقت مضى جيل واحد قبل أن يقوم سليمان ببناء الهيكل ، وهذا يعني أن اليهود ينوون إعادة بناء الهيكل خلال جيل واحد » . ولما سئل المؤرخ الإسرائيلي ماذا سيكون مصير مسجد الصخرة في حالة الاقدام على بناء الهيكل ؟ أجاب قائلا : إن المسألة على كل حال مدار بحث ثم أردف قائلا : لعل زلزالا يقع فيدمر مسجد المسلمين »[٣] .

هذه الاعتداءات المتكررة على أهلنا في فلسطين المحتلة وخارجها ، وعلى المقدسات الإسلامية وفي مقدمتها المسجد الأقصى والصخرة المشرفة والمسجد الإبراهيمي ستكون سبباً في تدمير يهود وإزالة دولتهم من الوجود كما أخبرنا

---

(١) محمد أديب العامري : من تاريخنا ص ١٧٦ .

(٢) نقلا عن مقال القدس في ضوء العقيدة الاسلامية للشيخ عزالدين التميمي ـ مجلة البلاغ الكويتية عدد ٨١٣ ص ٤٠ .

(٣) نفس المرجع .

النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال : « تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم يا عبدالله هذا يهودي ورائي فاقتله »(١) . وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبيء اليهود وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم يا عبدالله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود »(٢) .

الغرقد في الحديث نوع من الشجر معروف في بيت المقدس ، وقال أبو حنيفة الدينوري : اذا عظمت العوسجة صارت غرقدة . والحديث يدل على أن المعركة الفاصلة بين اليهود والمسلمين ستقع إن شاء الله تعالى فيجب على المسلم أن يهيء نفسه لذلك اليوم الفاصل بين اليهودية والإسلام والله وحده يعلم متى يكون ذلك اليوم . ومن يدري لعل الله قدر أن يساق اليهود بجملتهم إلى أرض فلسطين ، فقد هاجر إليها يهود روسيا والدول الغربية والعربية ويهود الفلاشا ويهود ايران لتكون هذه الأرض المقدسة مقبرتهم الأخيرة التي لن تقوم لهم بعدها قائمة ولن يبقى لهم بعد كيان ودولة .

وفي الحديث إشارة إلى أن المستقبل لهذا الدين ، وأن الغلبة له في النهاية مهما حيكت له الدسائس وتآمر عليه الأعداء .

« ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » .

---

(١) صحيح مسلم ٤ / ٢٢٣٩ ، سنن الترمذي ٤ / ٥٠٨ ، مسند الامام أحمد ٢ / ١٢٢، ١٤٩ .
(٢) صحيح مسلم ٤ / ٢٢٣٩ ، مسند الامام احمد ٢ / ٤١٧ .

٢ ــ إن الدجال لا يدخل بيت المقدس .

من أمارات الساعة الكبرى ظهور الدجال ـ كما سماه الرسول ﷺ ـ لكثرة تدجيله وكذبه ، يدعي الالوهية ، ويجري الله على يديه بعض مقدوراته كإحياء الموتى ، وإنزال المطر ، وإنبات النبات ليمتحن الناس ويختبرهم في آخر الزمان فيفتتن البعض به ، ويثبت الله الذين آمنوا فلا ينخدعون بباطله وضلاله .

ويظهر الدجال على كل الأرض ما عدا الكعبة ومسجد الرسول ﷺ والمسجد الأقصى ومسجد الطور كما ورد في الأحاديث .

ــ روى أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ وذكر الدجال فقال : وإنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس وأنه يحصر المؤمنين في بيت المقدس قال : « فيهزمه الله وجنوده حتى ان جذم ـ أصل ـ الحائط وأصل الشجرة ينادي يا مؤمن هذا كافر يستتر بي تعال فاقتله » أخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب صلاة الكسوف وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[١] .

ــ وعن جنادة بن أبي أمية قال : أتينا رجلا من الأنصار من أصحاب النبي ﷺ فدخلنا عليه ، فقلنا : حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ ولا تحدثنا ما سمعت من الناس فشددنا عليه ، فقال : قام رسول الله ﷺ فينا فقال أنذركم المسيح وهو ممسوح العين ـ أحسبه قال العين اليسرى ـ تسير معه جبال الخبز وأنهار الماء علامته يمكث في الأرض أربعين صباحاً يبلغ سلطانه كل منهل لا يأتي

---

(١) الزركشي : اعلام الساجد ص ٢٩٠ ، وقال ضياء الدين المقدسي في فضائل بيت المقدس ص ٦٢ : « رواه الامام احمد في مسنده بطوله بنحوه عن ابي كامل عن زهير عن الاسود ، والترمذي وابن ماجه والنسائي طرفاً منه وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

أربعة مساجد : الكعبة ومسجد الرسول ﷺ والمسجد الأقصى والطور ، ومهما كان من ذلك فاعلموا أن الله عز وجل ليس بأعور . قال ابن عون : « أحسبه قال يسلط على رجل فيقتله ثم يحييه ولا يسلط على غيره » رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح[1] .

---

(١) الهيثمي : مجمع الزوائد ٧ / ٣٤٣ ، ضياء الدين المقدسي : فضائل بيت المقدس ص ٦٣ .

المبحث الثالث

إسلامية أرض بيت المقدس وما حوله

إن الله تعالى بسابق علمه ، وبالغ حكمته ، وعزة قدرته إذا أراد أمراً هيأ له أسبابه ، وقد وصف نفسه عز وجل بقوله : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١) .

ولما أراد جل شأنه ، وعز سلطانه نقل الملك عن الروم إلى المسلمين في بلاد الشام عامة وبيت المقدس خاصة ، جعل قلوب المسلمين تحن شوقاً إليه عن طريق إتخاذه قبلة لهم ، وجعله معراج نبيهم إلى السماوات العلى ، وأوحى إلى النبي ﷺ بالاكثار من ذكره حتى أصبح يمثل صورة حية في أذهانهم ، ويصور لنا الواقدي ذلك الحنين إلى بيت المقدس بقوله : « ولقد بلغني أن المسلمين باتوا تلك الليلة ـ أي ليلة التجمع حول بيت المقدس ـ كأنهم ينتظرون قادماً يقدم عليهم من شدة فرحهم بقتال أهل بيت المقدس ، وكل أمير يريد أن يفتح على يديه فيتمتع بالصلاة فيه ، والنظر إلى آثار الأنبياء ، قال : فلما أضاء الفجر أذن ، وصلت الناس صلاة الفجر ، قال : فقرأ يزيد لأصحابه ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا

---

(١) آية ٢٦ من سورة آل عمران .

ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ . الآية ﴾[1] فيقال : إن الأمراء أجرى الله على ألسنتهم في تلك الصلاة أن قرأوا هذه الآية كأنهم على ميعاد واحد »[2] . كما ألقى الله تعالى في قلوب الرو م الذين كانوا يحكمون بلاد الشام الرَّوع والرهبة من المسلمين وكان أول ذلك الروع والرهبة رؤيا رآها هرقل الروم في منامه فأصبح وهو مهموم يقلب طرفه إلى السماء ، فقالت له بطارقته : أيها الملك لقد أصبحت مهموماً ، فقال أجل ، فقالوا : وما ذاك ؟ فقال: « أُريت في هذه الليلة أن مُلك الختان ظاهر » فقالوا : والله ما نعلم أمة من الأمم تختتن إلا اليهود ، وهم تحت يديك وفي سلطانك ، فإن كان قد وقع ذلك في نفسك فابعث في مملكتك كلها ، فلا يبقى يهودي إلا ضربت عنقه فتستريح من هذا الهم ، فإنهم في ذلك من رأيهم يديرونه بينهم إذ أتاهم رسول صاحب بصرى برجل من العرب قد وقع إليهم ، فقال : أيها الملك إن هذا الرجل من العرب من أهل الشاء والإبل يحدثك عن حدث كان ببلاده فاسأله عنه فلما انتهى إليه قال لترجمانه : سله ما هذا الخبر الذي كان ببلاده ؟ فسأله فقال : هو رجل من العرب من قريش خرج يزعم أنه نبي وقد اتبعه أقوام وخالفه آخرون ، وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن ، فخرجت من بلادي وهم على ذلك ، فلما أخبره الخبر قال : جردوه فإذا هو مختتن ، فقال هذا والله الذي قد رأيت ، لا ما تقولون فأعطه ثوبه ، ثم إنه دعا صاحب شرطته فقال له : قلب لي الشام ظهراً لبطن حتى تأتي برجل من قوم هذا أسأله عن شأنه . قال أبو سفيان : فوالله إني وأصحابي لبغزة إذ هجم علينا فسألنا ممن أنتم ؟ فأخبرناه فساقنا إليه جميعاً[3] . فسأل هرقل أبا سفيان عدة أسئلة ليتحقق من صفة النبي الذي سيرسل في زمنه ، فلما تحقق من تلك الصفات قال : «ولو أني

---

(١) آية ٢١ من سورة المائدة.

(٢) الواقدي : فتوح الشام ـ المكتبة الاهلية ببيروت ط ١ ١٩٦٦م ١ / ٢١٥

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ـ مكتبة المعارف ببيروت ط ٣ ١٩٨٠ م ٤ / ٢٦٢ ـ ٢٦٣ .

أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت قدميه وليبلغن ملكه ما تحت قدمي »[1] . وفي رواية البخاري « لتجشمت لُقيَّة »[2] والمعنى : لتكلفت الوصول إليه وارتكبت المشقة في ذلك ولكن أخاف أن أقتطع دونه . قال النووي : ولا عذر له في هذا ، لأنه قد عرف صدق النبي ﷺ ، وإنما شح في الملك ، ورغب في الرياسة فآثرها على الإسلام ، وقد جاء ذلك مصرحاً به في صحيح البخاري ولو أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشي ، ومازالت عنه الرياسة ونسأل الله توفيقه[3] .

ولم يقتصر الأمر في تعبئة نفوس المؤمنين وتخويف الروم على مجرد إلقاء المواعظ ، وسرد خصائص بيت المقدس ، ولا إرسال الرسل والإنذار النظري ، بل توج كل ذلك بالعمل الجاد والتحرك الفعلي تجاه بلاد الشام ، وكانت أول غزوة لتلك البلاد هي غزوة مؤتة[4] بقيادة الصحابي المعروف زيد بن حارثة : فقد كرست هذه الغزوة في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم أبعاد هذا الدين وأهدافه ، فهو لا يقف عند حدود الجزيرة العربية ، وإنما يتخطاها ليدعو كافة الشعوب ، للدخول في هذا الدين ، وزودتهم بفنون الحروب الكبيرة التي كانوا يجهلون وسائلها وأدواتها . وفي المقابل ألقت هذه الغزوة في قلوب الروم الخوف والرهبة ، وعرفتهم بجدية المسلمين اذا ما هددوا بشيء ، وبحقيقة مواقفهم الايجابية : فهم لا يسكتون عن الحق ، ولا يقبلون الضيم ، ولا يخضعون لظالم متكبر ، وهم يحبون الموت أشد من حب الروم للحياة ، فقد كان عدد المشركين في هذه الغزوة حوالي مائتي ألف مقاتل ، في حين أن عدد المسلمين لم يتجاوز

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢ / ١٠٧ .

(٢) صحيح البخاري ٤ / ٤ .

(٣) النووي : شرح صحيح مسلم ١٢ / ١٠٧ .

(٤) سميت بالغزوة وان لم يحضرها رسول الله لكثرة المحاربين فيها حيث بلغوا ثلاثة آلاف جندي .

ثلاثة آلاف ، ولكن الإيمان المستقر في قلوب هؤلاء الرجال جعلهم لا يبالون بكثرة الأعداء ، فحمل الراية زيد بن حارثة ، وجعل يقاتل بشجاعة واستماتة ، حتى شاط في رماح القوم ـ أي حتى تمزق وتقطع بسبب كثرة ما أصابه من طعنات ـ، فتناول الراية من يده جعفر بن أبي طالب وكان في الثالثة والثلاثين من عمره ، فأخذ يقاتل قتال الأبطال المغاوير ، وعندما أحاط به المشركون وهو يقاتلهم على فرسه ترجل عنها ، واندفع على قدميه وسط الصفوف يهوي بسيفه على رؤوس أعدائه حتى سقط شهيداً . روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه قال : « كنت في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى ، ووجدنا في جسده بضعاً وتسعين مابين طعنة برمح ورمية بسهم »(١) وفي رواية « ما وجدنا منها شيئا في ظهره »(٢) ثم أخذ الراية من بعد جعفر عبدالله بن رواحه فتقدم بها وهو يتردد بعض التردد ، ولكنه بعد قليل تشجع وأخذ يقاتل القوم وهو يقول :

يا نفس إلا تقتلي تموتي ... هذا حِمامُ الموت قد صُليت

وما تمنيت فقد أعطيت ... إن تفعلي فعلهما هديت

وقاتل في سبيل الله حتى استشهد .

ثم أخذ الراية من بعد عبدالله ثابت بن أرقم ، فصاح في الناس يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت . قال : ما أنا بفاعل فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية شرع يقاتل الروم بمهارة واحتيال حتى اندقت في يده تسعة أسياف ، وما ثبت في يده إلا صفيحة يمانية .

وفي السنة التاسعة للهجرة أعلن الرسول ﷺ عزمه على الخروج إلى تبوك ،

---

(١) صحيح البخاري ٥/٨٦ ـ ٨٧ .

(٢) المرجع نفسه .

وهي تقع في أقصى شمال الجزيرة العربية على حدود الشام ، وكان يهدف إلى تأمين قاعدة متقدمة للمسلمين ، للانطلاق منها إلى الشام فجلس في تبوك مدة يبايع بعض القبائل العربية على الاسلام ، ويعقد المعاهدات مع القبائل الأخرى على الجزية إلى أن تم خضوع تلك المنطقة لحكم الإسلام . ولما رجع إلى المدينة المنورة جهز جيشاً تحت قيادة أسامة بن زيد وأمره أن يوطيء الخيل تخوم البلقاء ، والداروم من أرض فلسطين ، وقد كان في هذا الجيش جميع المهاجرين والأنصار ومن كان حول المدينة من المسلمين ، لكن الله تعالى قد شاء أن يقبض رسوله ﷺ قبل ابتداء المسير إلى الشام ، فتوقف الجيش إلى أن تولى أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه خلافة المسلمين ، فأمضاه كما أوصى النبي ﷺ .

منشأ ارتباط أرض بيت المقدس بالإسلام

يرجع ارتباط أرض فلسطين بالإسلام إلى اتخاذ الرسول ﷺ بيت المقدس قبلة له في الصلاة منذ البعثة ، وإلى كون تلك الأرض موضعاً لمعراجه ﷺ إلى السماوات العلى ، وإلى الفتح الإسلامي لبيت المقدس وما حوله في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

١ ــ بيت المقدس قبلة الرسول ﷺ منذ البعثة .

منذ أن بعث النبي ﷺ وهو يتجه في صلاته إلى بيت المقدس ، واستمر على ذلك طيلة المدة التي مكثها في مكة المكرمة وكان يجمع بين القبلتين : بيت المقدس ، والكعبة المشرفة، فيصلي بين الركنين في جهة الجنوب مستقبلا للشمال . ولما هاجر إلى المدينة المنورة تعذر الجمع بين القبلتين فأمر بالتوجه إلى بيت المقدس واستمر على ذلك ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً إلى أن نزل الأمر الإلهي بالتحول إلى الكعبة قبلة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام .

أخرج البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل على أجداده أو أخواله من الأنصار ، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت »(1) . وأخرج الإمام أحمد والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان النبي ﷺ يصلي بمكة نحو بيت المقدس ، والكعبة بين يديه ، وبعدما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهراً ، ثم صرف إلى الكعبة »(2) .

وأخرج الإمام أحمد عن عبيدالله بن كعب قال : خرجنا في حُجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا ومعنا البراء بن معرور كبيرنا وسيدنا ، فلما توجهنا لسفرنا ، وخرجنا من المدينة قال البراء لنا : إني قد رأيت والله رأياً ، وإني والله ما أدري توافقونني عليه أم لا قلنا له : وما ذاك ؟ قال : قد رأيت أن لا أدع هذه البنية مني بظهر - يعني الكعبة - وأن أصلي إليها فقلنا : والله ما بلغنا أن نبينا يصلي إلا إلى الشام ، وما نريد أن نخالفه . فقال : إني اصلي إليها . قال : فقلنا له : لكنا لا نفعل ، فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام ، وصلى إلى الكعبة حتى قدمنا مكة . فسألنا النبي ﷺ ، فقال للبراء : « لقد كنت على قبلة لو صبرت عليها » . فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ ، فصلى إلى الشام(3) .

فقوله ﷺ : « لقد كنت على قبلة . . » يدل على أن المسلمين كانوا يصلون بمكة إلى بيت المقدس ، ويتخذونه قبلة لهم ، وبهذا أصبح ذلك البيت علماً من أعلام الاسلام ، وشعيرة من شعائر هذا الدين ، فلا يجوز للمسلمين التخلي عنه ، ولا التقصير في حمايته وتطهيره من الأرجاس والأنجاس .

---

(1) رواه البخاري في صحيحه ١ / ١٥ .
(2) مسند الإمام أحمد ٣٢٥/١ ، مجمع الزوائد للهيثمي ١٢/٢ ، وقال : رجاله رجال الصحيح
(3) رواه الإمام أحمد في مسنده ٤٦١/٤ .

وحرص النبي ﷺ على الجمع بين القبلتين في مكة يدل على ربط بيت المقدس بالبيت الحرام ربطاً قوياً ، فهما مكانان مباركان ومقدسان ، ويستحقان أن لا ينفصل أحدهما عن الآخر في القدسية . والتفريط في أحدهما تفريط في الآخر .

تحويل القبلة

بعد حوالي سبعة عشر شهراً من الهجرة نزل تحويل القبلة على رسول الله ﷺ ، وهو يصلي الظهر بعد أن صلى ركعتين ، وذلك في مسجد بني سلمة فسمى مسجد القبلتين[1] ، وقد كان النبي ﷺ يتشوف إلى استقبال الكعبة ، ويدعو الله تعالى أن يحوله إلى قبلة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام . قال تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾[2] . وفي سبب محبته عليه السلام التوجه إلى البيت الحرام وترك التوجه إلى بيت المقدس وجوه[3] .

الأول ـ مخالفة اليهود حيث كانوا يقولون : يخالفنا محمد ثم يتبع قبلتنا ولولا نحن لم يدر أين يستقبل .

---

(١) ذكر النووي عن محمد بن حبيب الهاشمي : أنها حولت في الظهر يوم الثلاثاء نصف شعبان ، كان ﷺ في أصحابه فحانت صلاة الظهر في منازل بني سلمة ، فصلى بهم ركعتين من الظهر في مسجد القبلتين الى القدس ثم أمر في الصلاة فاستدار واستدارت الصفوف خلفه فأتم الصلاة فسمي مسجد القبلتين . (روضة الطالبين ١٠ / ٢٠٦) .

(٢) آية : ١٤٤ من سورة البقرة .

(٣) انظر : ابن الجوزي : زاد المسير ١ / ١٥٦ .

الثاني ـ أن الكعبة كانت قبلة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام .

الثالث ـ أنه عليه السلام كان يرغب في تحويل القبلة استمالة للعرب لدخولهم في الإسلام .

والرابع ـ أنه أراد أن يشعر الدنيا بأن التشريع الإلهي ، والوحي السماوي قد انتقل من ولد إسحاق بن إبراهيم إلى ولد إسماعيل بن إبراهيم .

٢ ـ أرض بيت المقدس أرض الإسراء والمعراج .

يعود ارتباط أرض بيت المقدس بالإسلام إلى حادثة الإسراء والمعراج الثابتة بالقرآن والسنة والإجماع : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[١] ، وهي حادثة فريدة أكرم الله بها نبيه في وقت اشتد فيه أذى المشركين بمكة لرسول الله ﷺ ، فأسرى به من مكة إلى بيت المقدس ، وكان أن عرج به من صخرة بيت المقدس إلى السماوات العلى .

وإن دلت هذه الحادثة على شيء فهي تدل على ما يأتي :

أ ـ ارتباط المسجد الأقصى بالمسجد الحرام .

لقد ربطت حادثة الإسراء والمعراج بين المسجدين ربطاً روحياً قبل أن تتصل حدود أرضيهما ببضعه عشر عاماً ، فانتقل النبي ﷺ بروحه وجسده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وصلى فيه بالأنبياء والمرسلين حيث أحياهم الله وجمعهم له ، وذلك ليعلن للناس جميعاً أن المسجد الأقصى أصبح مسجداً

---

(١) آية : ١ من سورة الاسراء .

للمسلمين ، مرتبطاً بالمسجد الحرام في رباط قدسي دائم . يقول د. مصطفى السباعي : « أما صلة المسجد الحرام بالمسجد الأقصى فهي صلة الشرف بالشرف ، فسكان مكة هم أشرف أهل الأرض ، لأنهم سكان الكعبة وسدنتها من لدن أن بناها إبراهيم عليه السلام ، والمسجد الأقصى هو مهبط الرسالات ، وملتقى النبوات في فترات طويلة من التاريخ ، فيجب أن تنطلق مواكب التحرير من هاتين البقعتين وتسير كتائب الإيمان من هذين المسجدين ليهتدي العالم الضال ، والإنسانية التائهة بنور الإيمان ورسالة الإسلام »(١) .

ب ــ وجوب تحرير أرض المسجد الأقصى .

لقد جاءت هذه الحادثة في وقت اشتداد المحن والشدائد ، وفي وقت كانت فيه الحركة الإسلامية دعوة سرية ، فكأن الله أراد أن يلقى في روع المؤمنين ضرورة تحرير أرض المسجد الأقصى وعدم التغافل عنه مهما كانت الضغوط على المسلمين في بقاعهم الأخرى ، فهي أمانة عظيمة في أعناق المسلمين جميعاً . وهي جزء لا يتجزأ من أرض الإسلام ، فلا يجوز التنازل عن شبر من أرضها ، ويجب على المسلمين أن يدافعوا عنها بكل ما يملكون من قوة ، وأن يعتبروا الدفاع عنها واجبا يحتمه الدين والعقيدة . لا مفر لكل من يؤمن بالله واليوم الآخر من القيام به إلى آخر مدى من القدرة والاستطاعة(٢) .

٣ ــ فتح بيت المقدس وما حوله .

بعد أن تم فتح دمشق على يد الصحابي الجليل أبي عبيدة عامر بن الجراح استشار قادة الجيش في الجهة التي يتجهون إليها ، فأشاروا عليه باستشارة أمير

---

(١) نقلا عن كتاب الاسلام والقضية الفلسطينية لعبدالله علوان ص ١٥ .

(٢) انظر : مقال ذكرى الاسراء والمعراج في تاريخنا للدكتور مصطفى السباعي ضمن كتاب احكام الصيام ص ١٠٢ .

المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فكتب إليه يستشيره ، فجاء الرد بالتوجه إلى بيت المقدس . ولما علم المسلمون بذلك فرحوا فرحاً شديداً لشدة شوقهم إلى بيت المقدس . واستدعى أبو عبيدة سبعة من قادة المسلمين وهم : خالد بن الوليد ، ويزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، والمرقال بن هاشم بن عتبة ، والمسيب بن نجية الفزاري ، وقيس بن هبيرة ، وعروة بن مهلهل ، ثم عقد لكل منهم راية ضاماً إليه خمسة آلاف مقاتل وأمرهم بالمسير إلى بيت المقدس ، ولما وصل أولئك القادة إلى أسوار بيت المقدس ، بدأ القتال بين الفريقين ، واستمرت المعركة عشرة أيام ، وفي اليوم الحادي عشر قدم أبو عبيدة عامر بن الجراح ، ومعه فرسان المسلمين وأبطال الموحدين ، فرفع المسلمون أصواتهم بالتهليل والتكبير ، ووقع الرعب في قلوب الروم ، وذهبوا إلى البطريرك فأخبروه بمقدم أمير القوم ، فقال : « وحق الإنجيل إن كان قدم أميرهم فقد دنا هلاككم والسلام . قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : لأنا نجد في العلم الذي ورثناه عن المتقدمين أن الذي يفتح الأرض في الطول والعرض هو الرجل الأسمر الاحور المسمى بعمر صاحب نبيهم محمد ، فإن كان قدم فلا سبيل لقتاله ، ولا طاقة لكم بنزاله ، ولابد لي أن أشرف عليه ، وأنظر إليه ، وإلى صورته فإن كان إياه عمدت إلى مصالحته ، وأجبته إلى ما يريد ، وإن كان غيره فلا نسلم إليه قط ، لأن مدينتنا لا تفتح إلا على يد من ذكرته لكم والسلام »[1] . فوثب البطريرك ومن معه من القساوسة والرهبان ، ليتحققوا من شخصية الأمير ، فعرفوا أنه ليس عمر ، وقال لبني قومه : « ليس هو هذا الرجل فأبشروا وقاتلوا عن بلدكم ودينكم »[2] وأقبلوا يقاتلون القتال الشديد ، واستمر النزال والحصار لهذه المدينة أربعة أشهر ، وقد أظهر المسلمون بطولة وشجاعة نادرتين فقاتلوا

---

(١) الواقدي : فتوح الشام ـ المكتبة الأهلية ببيروت ط ١ ١٩٦٦ م ١ / ٢١٦ .

(٢) نفس المرجع .

قتالا شديداً ، وصبروا على البرد القارس والثلج والمطر ، ولما رأى أهل بيت المقدس شدة الحصار وإحكامه وشجاعة المسلمين وصبرهم طلبوا من البطريرك أن يظهر للمسلمين ويعرف ما يريدون ، فظهر البطريرك ، وقام له أبو عبيدة وجماعة من المسلمين ، فقال لهم : « ماذا تريدون منا في هذه البلدة المقدسة ، ومن قصدها يوشك أن يغضب الله عليه ويهلكه » .

فقال أبو عبيدة : « نعم إنها شريفة وفيها أُسريَ بنبينا إلى السماء ودنا كقاب قوسين أو أدنى ، وإنها معدن الأنبياء وقبورهم فيها ، ونحن أحق منكم بها ، ولا نزال عليها ، أو يملكنا الله إياها ، كما ملكنا غيرها » .

قال البطريرك : فما الذي تريدون منا ؟

قال أبو عبيدة : « خصلة من ثلاث . . . »[1] أي إما الإسلام وإما الصلح وإما القتال ، فلما رأوا إصرار المسلمين على القتال وعزمهم الأكيد على فتح هذه المدينة أذعنوا للصلح وتسليم المدينة ، ولكنهم اشترطوا ألا يسلموها إلا لشخص الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فوافقهم أبو عبيدة على ذلك ، فصارت هدنة إلى أن جاء عمر رضي الله عنه ، وكتب مع أهل بيت المقدس كتاب الصلح الذي جاء فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنها لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ، ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا

---

(١) الواقدي : فتوح الشام ـ المكتبة الاهلية ببيروت ط ١ ١٩٦٦ م ١ / ٢١٧ ـ ٢١٩ .

يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود[1] ، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت - يعني اللصوص - فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ، وعلى مافي هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية . شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبدالرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان[2] .

هكذا تم فتح مدينة بيت المقدس صلحاً على يد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وبشرط أن تكون الأرض مملوكة للمسلمين ، ويقر أهلها عليها بخراج معلوم ، ويؤيد ذلك ما ورد في كتاب الصلح أو العهدة العمرية : « أعطاهم - يعني عمر رضي الله عنه - أماناً لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم . . . وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن » ، وما أقرَّ به بطريرك القدس صفرونيوس من أحقية المسلمين بهذه الأرض ، لأنه مكتوب عندهم في الكتب حيث قال : « لأنا نجد في العلم الذي ورثناه عن المتقدمين أن الذي يفتح الأرض في الطول والعرض هو الرجل الأسمر الاحور

(١) هذا شرط البطريرك صفرونيوس الذي سلم مدينة القدس للمسلمين ، لأن النصارى قد حرموا عليهم العيش في المدينة المقدسة تخلصاً من مؤامراتهم ودسائسهم .

(٢) الطبري : تاريخ الامم والملوك - دار الفكر ببيروت ٤ / ١٥٩ - ١٦٠ .

المسمى بعمر صاحب نبيهم محمد ، فإن كان قدم فلا سبيل لقتاله ولا طاقة لكم بنزاله » .

وقد ترتب على فتح بيت المقدس فتح بقية المدن الفلسطينية ، حيث أمَّر عمر رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان على بيت المقدس ، وأمره بفتح بقية المدن الفلسطينية التي لم تفتح بعد : كقيسارية ، وغزة ، فاستعان بأخيه معاوية وسيره إلى قيسارية ، فنازل أهلها وقاتلهم قتالا شديداً حتى أنه قتل منهم مائة ألف[1] ، وتم فتح هذه المدينة على يديه عنوة ، وكذا غيرها . قال أبو عبيدة : « أرض الشام عنوة ـ أي فتحت عنوة ـ ما خلا مدنها فإنها فتحت صلحاً إلا قيسارية افتتحت عنوة »[2] .

حكم الأرض المفتوحة عنوة أو صلحاً عند فقهاء المسلمين

اتفقت كلمة فقهاء المسلمين على أن الأرض المفتوحة عنوة أو صلحاً تدخل في دار الإسلام ، وتسري عليها أحكامها من وجوب الدفاع عنها والقتال دونها ، ثم إن هذه الصفة لا تنفك عنها وإن استولى الأعداء بعد ذلك عليها ، فيجب على المسلمين بذل كل ما يملكونه من جهد للذود عنها وطرد الأعداء الغاصبين منها وإقامة حكم الله فيها .

١ ـ دخول الأرض المفتوحة عنوة أو صلحاً في دار الإسلام .

تدخل الأرض المفتوحة عنوة أو صلحاً في دار الإسلام بمجرد الفتح الإسلامي لها سواء بقي أهلها فيها أو جلوا عنها ، وتطبق عليها أحكام

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ـ دار الكتاب العربي ببيروت ٢ / ٣٤٦ .

(٢) نقلا عن كتاب المغنى لابن قدامة الحنبلي ٢ / ٧١٧ .

الإسلام ، ويجب على المسلمين الدفاع عنها والمحافظة عليها ، ويؤيد ذلك ما ذكره فقهاء المسلمين ، فقال الماوردي وأبو يعلي الفراء : « وتصير هذه الأرض - أي المفتوحة عنوة - دار إسلام سواء سكنها المسلمون أو أعيد إليها المشركون لملك المسلمين لها ، ولا يجوز أن يستنزل عنها للمشركين لئلا تصير دار حرب »[1] .

وقال الماوردي في الأرض المفتوحة صلحاً على أن تكون الأرض للمسلمين ويقر أهلها عليها بجزية وخراج معلومين : « أن يصالحهم على أن ملك الأرض لنا - أي للمسلمين - فتصير بهذا الصلح وقفاً من دار الاسلام ، ولا يجوز بيعها ولا رهنها ، ويكون الخراج أجرة لا يسقط بإسلامهم فيؤخذ خراجها إذا انتقلت إلى غيرهم من المسلمين . . . »[2] .

وبناء على هذا الحكم الذي قرره الفقهاء فإن أرض فلسطين التي فتح بعضها عنوة وبعضها صلحاً قد دخلت في دار الإسلام منذ ذلك الفتح وطبقت عليها أحكام الإسلام ، وأمّر عليها عمر بن الخطاب يزيد بن أبي سفيان وحافظ المسلمون على إسلاميتها وبقوا يجبون من أهلها الخراج . روى أبو عبيد عن عمر ابن عبدالعزيز أنه كتب إلى عبدالله بن عوف - عامله على فلسطين - فيمن كانت في يده أرض بجزيتها من المسلمين أن يقبض جزيتها ، ثم يؤخذ منها زكاة ما بقي بعد الجزية ، قال إبراهيم بن أبي عبلة العقيلي - راوي الأثر -: أنا ابتليت بذلك ومني أخذ[3] .

---

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ١٣٦ ، الفراء : الأحكام السلطانية ص ١٤٦ .
(٢) الماوردي : نفس المرجع ص ١٣٧ .
(٣) أبو عبيد : الأموال ص ١٢٧ .

٢ ـ وجوب الدفاع عن دار الإسلام .

أوجب الإسلام على الإمام الذي يتولى شئون الأمة الإسلامية الدفاع عن البلاد الإسلامية التي خضعت لحكم المسلمين بإعداد الجيوش القوية ، وشحن الثغور المتاخمة لبلاد الأعداء بالعدة المانعة والقوة الدافعة ، لئلا يقع الاعتداء على بلاد المسلمين ، وتنتهك الحرمات وتسفك الدماء ، ويهلك الحرث والنسل . قال الماوردي في بيان ذلك الواجب : « والذي يلزمه من الأمور العامة عشرة أشياء . . . الثالث : حماية البيضة والذب عن الحريم ليتصرف الناس في المعايش وينتشروا في الأسفار آمنين من تغرير بنفس أو مال . . . والخامس : تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة حتى لا تظفر الأعداء بغرة ينتهكون فيها محرماً أو يسفكون فيها لمسلم أو معاهد دماً »[١] وقال النووي : « أن يشحن الامام الثغور بجماعة يكافئون من بإزائهم من الكفار ، وينبغي أن يحتاط بإحكام الحصون وحفر الخنادق ونحوها »[٢] .

فإذا هاجم الأعداء دار الإسلام واستولوا على شيء منها صار الجهاد فرضاً عينياً على المسلمين ، فإذا أعلن الأمام النفير العام وجب على كل فرد منهم أن يطيعه بما يقدر عليه من الجهاد بنفسه وبماله حتى أن الابن يخرج دون إذن أبيه ، لأن حق الوالدين لا يظهر في فروض الأعيان كالصلاة والصوم ، والزوجة دون إذن زوجها .

قال الكاساني ـ في حكم الجهاد إذا عم النفير بأن هجم العدو على بلد من بلاد المسلمين : « إذا عم النفير بأن هجم العدو على بلد فهو فرض عين يفترض

---

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ١٥ ـ ١٦ .
(٢) النووي : روضة الطالبين ١٠ / ٢٠٨ .

على كل واحد من آحاد المسلمين ممن هو قادر عليه لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ قيل نزلت في النفير، وقوله: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ﴾، ولأن الوجوب على الكل قبل عموم النفير ثابت، لأن السقوط عن الباقين بقيام البعض بـه ، فإذا عم النفير لا يتحقق القيام به إلا بالكل فبقي فرضا على الكل عينا بمنزلة الصوم والصلاة فيخرج العبد بدون إذن مولاه ، والمرأة بغير إذن زوجها ، لأن منافع العبد والمرأة في حق العبادات المفروضة عيناً مستثناة عن ملك المولى والزوج شرعاً كما في الصوم والصلاة، وكذا يباح للولد أن يخرج بغير إذن والديه، لأن حق الوالدين لا يظهر في فروض الأعيان كالصوم والصلاة والله سبحانه وتعالى أعلم »[1] .

لقد حافظ المسلمون على أرض فلسطين ـ باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من دار الإسلام ـ منذ أن فتحها الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعندما تعرضت تلك البلاد لهجمات الصليبيين الهمجية ، والذين استطاعوا بواسطتها أن يستولوا على بيت المقدس ويؤسسوا فيه مملكة اللاتين التي استمرت حوالي مائة سنة ، انطلق المسلمون من جميع بقاع الأرض مستشعرين بالواجب المقدس : وهو تحرير ما اغتصب من أرض المسلمين ، انطلقوا بقيادة القائد المسلم صلاح الدين بعد أن عملوا على تصفية العقيدة الاسلامية مما علق بها من انحرافات وتصورات خاطئة ، وبعد أن بذلوا الجهد في توحيد كلمة المسلمين ، انطلقوا إلى تحرير الأرض المقدسة التي اغتصبها دعاة التعصب الغربي فكلل الله جهودهم بالنجاح والتحرير .

---

(١) الكاساني : بدائع الصنائع ـ مطبعة الامام بالقاهرة ٩ / ٤٣٠١ .

وعندما ساوم «هرتزل» السلطان عبدالحميد على أرض فلسطين قال له : « . . إن بلادنا التي حصلنا على كل شبر منها ببذل دماء أجدادنا لا يمكن أن نفرط بشبر منها دون أن نبذل أكثر مما بذلناه من دماء في سبيلها »[1] . وأضاف قائلا : « إنني أحب تطبيق المساواة على جميع المواطنين ، ولكن إقامة دولة يهودية في فلسطين التي فتحناها بدماء أجدادنا العظام فلا . . . »[2] .

استمرار صفة الإسلامية على أرض فلسطين بعد الاغتصاب

نص العلماء على مسألة شبيهة بحالة فلسطين بعد الاغتصاب وصورة المسألة : إذا غلب أهل الحرب (الأعداء) على جزء من دار الإسلام ، ولم يتمكن المسلمون من تحرير هذا الجزء المغتصب، وطبق الأعداء عليه أحكام الكفر فهل يصير هذا الجزء دار حرب وتزول عنه صفة الإسلامية أم لا ؟

اختلف العلماء في هذه المسألة على عدة أقوال :

١ ــ ذهب كثير من فقهاء الشافعية إلى استمرار صفة الإسلامية على هذا الجزء المغتصب من دار الإسلام ، لأنه خضع لحكم الإسلام واستقر عليه ذلك الحكم ، فلا تزول هذه الصفة بحدوث أي عارض كعدوان أو اغتصاب . ويجب على المسلمين بذل جميع ما بوسعهم من أموال وأنفس وجاه ووقت لتحرير هذا الجزء المغتصب .

قال ابن حجر في تحفة المحتاج نقلا عن الرافعي وغيره من فقهاء الشافعية : « إن دار الإسلام ثلاثة أقسام : قسم يسكنه المسلمون ، وقسم

(١) جواد اتلخان : الخطر المحيط بالاسم ص ١٢١ ـ ١٢٢ نقلا عن موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية لحسان على حلاق ص ١٨٣ .

(٢) اتلخان : الإسلام وبنو اسرائيل ص ١٥٢ نقلا عن موقف الدولة العثمانية السابق ص ١٨٣ .

فتحوه وأقروا أهله عليه بجزية ملكوه أولا ، وقسم كانوا يسكنونه ثم غلب عليه الكفار »[1] .

وقال البجيرمي : « إن دار الإسلام هي الدار التي يسكنها المسلمون وان كان فيها أهل ذمة ، أو فتحها المسلمون وأقروها بيد الكفار ، أو كانوا يسكنونها ثم جلاهم الكفار عنها »[2] .

٢ ــ وذهب أبو حنيفة إلى أن دار الإسلام تصبح دار حرب باجتماع شروط ثلاثة : أحدها ـ اجراء أحكام الكفار عليها على سبيل الاشتهار وأن لا يحكم فيها بحكم من أحكام الإسلام . والثاني ـ أن تكون متصلة بدار الحرب ، فلا يتخلل بينها وبين دار الحرب بلد من بلاد المسلمين . والثالث ـ أن لا يبقى فيها مؤمن ولا ذمي آمناً بالأمان الأول الذي كان ثابتاً له قبل استيلاء الكفار : للمسلم بإسلامه وللذمي بعقد الذمة[3] .

٣ ــ وذهب الصاحبان من الحنفية (أبو يوسف ومحمد بن الحسن) إلى أن دار الإسلام تصير دار حرب بشرط واحد : وهو اظهار أحكام الكفر : كأن يرتد أهل البلد المغتصب ، ولا يظهروا شعائر الإسلام من صلاة وزكاة وجمعة وجماعة ، ولا يطبقوا أحكام الإسلام وممن ذهب إلى هذا أيضاً المالكية والحنابلة[4] .

---

(١) ابن حجر : تحفة المحتاج ٩ / ٢٦٩

(٢) حاشية البجيرمي ٤ / ٢٧٧ ـ ٢٧٨ .

(٣) الفتاوى الهندية ٢ / ٢٣٢ ، البحر الزخار للمرتضى ٣ / ٣٠١

(٤) الفتاوى الهندية ٢ / ٢٣٢ ، ابن هبيرة : الافصاح ٢ / ٢٣٠ الدمشقي : رحمة الامة ٢ / ١٢٩

نظرة في آراء الفقهاء

إذا نظرنا في الشروط التي وضعها أبو حنيفة لانتقال دار الإسلام إلى دار حرب وفقدان صفة الإسلامية عن الأرض المغتصبة من دار الإسلام ، نجد أن هذه الشروط لا تجتمع في أرض فلسطين وأهلها ، فهي غير متاخمة لدار الحرب ، وأهلها يظهرون شعائر الإسلام من صلاة جماعة وجمعة وعيدين وصيام وغير ذلك ، ويطبقون الأحكام الشرعية في كثير من معاملاتهم .

وعلى فرض تحقق هذه الشروط فلا يمكن زوال صفة الإسلام عن أرض فلسطين التي شرفها الله بالفتح الإسلامي ، واستقر عليها حكم الاسلام مدة من الزمن ، ولا يمكن أن يفتي عالم بغير ذلك . فعندما تعرضت بلاد المسلمين لغزو التتار وهجماتهم أنكر أحد علماء الحنفية : وهو الإمام الاسبيجابي على من زعم أن الأرض التي اغتصبها التتار صارت دار حرب فقال : « إن دار الإسلام لا تنقلب الى دار حرب. . . وذكر شروط الإمام أبي حنيفة »[1] . وقال الشيخ إبراهيم الحلبي الحنفي بعد أن ذكر شروط أبي حنيفة « فالاحتياط هذه البلاد دار إسلام وإن كانت اليد في الظاهر للملاعين ولهؤلاء الشياطين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين »[2] . ويؤيد ذلك ما ذكره البجيرمي .

أما الشرط الذي وضعه جمهور الفقهاء فهو غير متحقق في أهل فلسطين . وأما رأي الشافعية في هذه المسألة فهو حسن ، وأقرب الآراء إلى الصواب ، لأنه يحمل مسئولية تحرير الجزء المغتصب من دار الإسلام إلى جميع المسلمين ، وينظر

---

(١) نقلا عن العلاقات الخارجية في دولة الخلافة للدكتور عارف أبو عيد ـ دار الارقم بالكويت * ط١ ١٤٠٤هـ ص ٦٠

(٢) ابراهيم الحلبي : در المنتقي في شرح الملتقى ١ / ٦٣٤

إليه على أنه جزء لا يتجزأ من دار الإسلام إلى يوم القيامة ، ولا يعتبره جسماً غريبا عن دار الإسلام . وقد أيد هذا الرأي كل من الشيخ محمد رشيد رضا ، والدكتور وهبة الزحيلي .

جاء في تفسير المنار « دار الإسلام . . فيها أربعة آراء : الرأي الأول وهو أقرب الآراء إلى نصوص جمهور الفقهاء أن كل ما دخل في محيط سلطان الإسلام ونفذت فيها أحكامه وأقيمت شعائره قد صار من دار الإسلام ووجب على المسلمين عند الاعتداء عليه أن يدافعوا عنه وجوباً عينياً كانوا كلهم آثمين بتركه ، وإن استيلاء الأجانب عليه لا يرفع عنهم وجوب القتال لاسترداده وإن طال الزمان . فعلى هذا الرأي يجب على مسلمي الأرض إزالة سلطان جميع الدول المستعمرة لشيء من الممالك الإسلامية وإرجاع حكم الإسلام إليها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا وعجزهم الآن عن ذلك لا يسقط عنهم وجوب توطين أنفسهم عليه ، وإعداد ما يمكن من النظام والعدة له ، وانتظار الفرص للوثوب والعمل »[1] .

وجاء في كتاب آثار الحرب في الفقه الإسلامي للدكتور وهبة الزحيلي «نجد في تحديد هذه الدار ـ أي دار الإسلام ـ أربعة آراء للعلماء ، نختار منها الرأي الأول ، لأنه أقرب الآراء إلى نصوص جمهور الفقهاء وهو أن كل من دخل من البلاد في محيط سلطان الإسلام، ونفذت فيها أحكامه وأقيمت شعائره قد صار من دار الإسلام ، ووجب على المسلمين عند الاعتداء عليه أن يدافعوا عنه وجوباً كفائياً بقدر الحاجة وإلا فوجوباً عينياً ، وكانوا كلهم آثمين بتركه ، وان استيلاء الأجانب عليه لا يرفع عنهم وجوب القتال لاسترداده وإن طال الزمان فمثل

---

(١) تفسير المنار ـ دار المعرفة بيروت ١٠ / ٣١٦

فلسطين اليوم والجزائر في الأمس القريب تعتبر كل منهما دار إسلام يجب على المسلمين جميعهم تطهيرها من الدخيل »[1]

بهذا يتبين أن صفة الإسلامية ملازمة لأرض فلسطين لا تنفك عنها لأي عارض كاغتصاب أو احتلال أو نحوه ، ولا صحة لقول القائل : « . . . وهذا بخلاف قرية إسلامية في حدود الأراضي التي تغتصبها إسرائيل أو يسيطر عليها الشيوعيون ويمنعون فيها الشعائر قهراً وجبراً ، وكبلاد أوربا النصرانية فهذه كلها ليست دار إسلام لأن الشعائر لا تظهر فيها إلا تسامحاً بسبب الإنكار »[2]

وإذا ثبتت استمرارية هذه الصفة على أرض فلسطين فيجب على جميع المسلمين وجوباً عينياً أن يعملوا على تحرير هذه الأرض الإسلامية وتخليصها من قبضة الغاصبين ، وإرجاعها لتحكم بالإسلام وشريعته الغراء .

---

(١) د. وهبة الزحيلي: آثار الحرب في الفقه الإسلامي ـ دار الفكر بدمشق ط٣ ـ ١٤٠١هـ ١٩٨١م ص ١٦٩ .

(٢) د. مصطفى وصفي: مصنفة النظم الإسلامية ـ مكتبة وهبة بالقاهرة ط١ ـ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م ص ٢٨٧

آثار الفتح الإسلامي لفلسطين

لقد كان للفتح الإسلامي لفلسطين أثر كبير في زيادة قدسية المسجد الأقصى ، واستقرار الحياة العامة في بلاد فلسطين ، حيث استقرت الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

أولاً: المكانة التي تمتع بها المسجد الأقصى في الإسلام

احتل المسجد الأقصى في نفوس المسلمين مكانة مرموقة منذ أن كان النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم يتوجهون في الصلاة إليه ، ومنذ أن شرع النبي ﷺ ببيان بعض الأحكام الخاصة به . ولذلك سارع عمر رضي الله عنه إلى تنظيف الصخرة بعد الفتح مباشرة فأزال الأوساخ التي كان النصارى يلقونها عليها ، نكاية في اليهود الذين كانوا يصلون إليها ، وقام عبد الملك بن مروان بتجديد بناء المسجد الأقصى وبناء قبة الصخرة . وقد حرص المسلمون على أن يكون المسجد الأقصى عامراً بالمصلين ومفتوحاً لجميع الزائرين من المسلمين .

أ ــ الأحكام الخاصة بالمسجد الأقصى :

١ ــ استحباب زيارته وشد الرحال إليه .

اتفق علماء المسلمين على استحباب زيارة المسجد الأقصى للعبادة المشروعة فيه : كالصلاة والدعاء ، والذكر، وقراءة القرآن ، والإعتكاف والصوم ، لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «لاتشد الرحال إلا إلى

ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، ومسجد الحرام ، ومسجد الأقصى»[1]، وفي رواية : «تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد»[2].

وفي رواية ثالثة : «إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد : الكعبة ، ومسجدي هذا ، ومسجد إيلياء»[3].

فالحديث يدل على فضل هذه المساجد الثلاثة ومزيتها على غيرها ولكونها مساجد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، فهم الذين بنوها ودعوا الناس إلى زيارتها للعبادة والصلاة فيها، فإبراهيم عليه السلام هو الذي بنى الكعبة ، وسليمان عليه السلام بنى المسجد الأقصى ، ونبينا محمد ﷺ بني المسجد النبوي ، ولم يبن أحد من الأنبياء مسجدا ودعا الناس إلى زيارته للعبادة إلا هذه المساجد الثلاثة . ولهذا لا يجوز تغيير واحد من هذه المساجد الثلاثة عن موضعه[4] .

ومما يؤيد استحباب زيارة المسجد الأقصى ما روى الحاكم في صحيحه عن النبي ﷺ «أن سليمان عليه السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله خلالا ثلاثاً فأعطاه اثنتين وأرجو أن يكون أعطاه الثالثة : سأله ملكاً لا ينبغي لأحد بعده فأعطاه إياه ، وسأله حكما يواطيء حكمه فأعطاه إياه ، وسأله من أتى هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه أن يخرج من الذنوب كيوم ولدته أمه فقال رسول الله ﷺ : «وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة »[5]

---

(١) صحيح البخاري مع العيني ٧ / ٢٥١ ، صحيح مسلم مع النووي ٩ / ١٦٨ ، مسند أحمد ٣ / ٢٣٤

(٢) صحيح مسلم مع النووي ٩ / ١٦٨

(٣) نفس المرجع

(٤) انظر: ابن تيمية · مجموع الفتاوى ٢٧ / ٣٥٣

(٥) مرَّ تخريج الحديث، وهو حديث صحيح.

قال ابن تيمية : «وقد كان ابن عمر رضي الله عنه يأتي إليه فيصلي فيه ، ولا يشرب فيه ماء لتصيبه دعوة سليمان ، لقوله «لا يريد إلا الصلاة فيه» فإن هذا يقتضي إخلاص النية في السفر إليه ولا يأتيه لغرض دنيوي أو بدعة »[١] .

ما يراعى في زيارة بيت المقدس

وينبغي للزائر أن لا يقبل أو يستلم أو يتمسح بقبر من قبور الأنبياء ولا غيرهم ، ولا صخرة بيت المقدس ، ولا يصلي عند قبر من قبور الأنبياء أو مقام من مقامات الصالحين .

وينبغي أن يعلم أن السفر إلى بيت المقدس بعد الحج ليس بقربه وقول القائل : تقديس الحجة قول باطل لا أصل له .

وينبغي أن يعلم أن زيارة معابد الكفار : ككنيسة القيامة أو كنيسة المهد للعبادة منهي عنها .

قال ابن تيمية : «ومن زار مكاناً من هذه الأمكنة معتقداً أن زيارتها مستحبة والعبادة فيها أفضل من العبادة في بيته ، فهو ضال خارج عن شريعة الإسلام يستتاب فإن تاب وإلا قتل »[٢] .

٢ ـ فضل الصلاة في المسجد الأقصى :

حينما أُسْريَ بالنبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس دخل المسجد الأقصى وصلى فيه ، ثم التفت فإذا النبيون أجمعون يصلون معه[٣] . ولما فتح عمر بن

---

(١) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٢٧ / ٦

(٢) المرجع السابق ٢٧ / ١٤

(٣) مسند الإمام أحمد ١ / ٢٥٧

الخطاب بيت المقدس سأل كعب الأحبار عن المكان الذي يصلي فيه فقال : إن أخذت عني صليت خلف الصخرة ، فكانت القدس كلها بين يديك ، فقال عمر : ضاهيت اليهودية ، ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ فتقدم إلى القبلة فصلى(١) .

وقد ورد في مضاعفة الصلاة في المسجد الأقصى عدة أحاديث منها :

أ ـ روى الطبراني عن ميمونة بنت سعد قالت : يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس قال: أرض المحشر وأرض المنشر ائتوه فصلوا فيه ، فإن صلاة فيه كألف صلاة قلنا: يا رسول الله فمن لم يستطع أن يتحمل إليه قال: من لم يستطع أن يأتيه فليهد إليه زيتاً يسرج فيه فإن من أهدى إليه زيتا كان كمن أتاه».

قال الهيثمي : روى أبو داود قطعة منه من حديث ميمونة مولاة النبي ﷺ ، ورواه أبو يعلي بتمامه من حديث ميمونة زوج النبي ﷺ ـ والله أعلم ـ ورجاله ثقات(٢) .

فالحديث يدل على أن الصلاة في المسجد الأقصى أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام والمسجد النبوي ، فالصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة(٣) ، والصلاة في المسجد النبوي بألف صلاة(٤) . كما يدل الحديث على استحباب اهداء الزيت له عند عدم القدرة على زيارته ، ويقصد بذلك تقديم العون المادي للإسهام في إعماره أو إصلاح أوضاعه .

---

(١) الهيثمي : مجمع الزوائد ٤ / ٦

(٢) نفس المرجع .

(٣) الجراعي : تحفة الراكع والساجد في أحكام المساجد المكتب الإسلامي ببيروت ط١ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ص ١٣٨ .

(٤) نفس المرجع .

ب ــ وروى الطبراني والبزار عن أبي الدرداء قال : « قال رسول الله ﷺ الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، والصلاة في مسجدي بألف صلاة والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة » رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات وفي بعضهم كلام وهو حديث حسن(١) .

فالحديث يدل على أن الصلاة في المسجد الأقصى أفضل من خمسمائة صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام والمسجد النبوي . قال ابن تيمية : والصواب في الأقصى بخمسمائة(٢) .

جـ ـ روى ابن ماجه في سننه من حديث أنس بن مالك قال : « قال رسول الله ﷺ: صلاة الرجل في بيته بصلاة ، وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة ، وصلاته في المسجد الذي يجمع فيه بخمسمائة صلاة ، وصلاته في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة، وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة» وهو حديث ضعيف ، لأن في إسناده أبا الخطاب الدمشقي، وهو لا يعرف(٣) .

مما سبق يتبين أن أصح الأحاديث الواردة في فضل الصلاة في المسجد الأقصى هما الحديث الأول والثاني ، وهما يدلان دلالة واضحة على فضل ثواب المصلي في المسجد الأقصى ، وقد كان المسلمون يتسابقون إلى الصلاة فيه من جميع بقاع الأرض طمعاً في رضا الله ومثوبته دون أن يضع الواحد منهم نصب عينيه رقماً معيناً ، لأن الله تعالى يضاعف الحسنة الواحدة أضعافاً مضاعفة، ولا يقف بالأجر والثواب عند رقم معين ، ولأن العدد لا مفهوم له كما هو مقرر في أصول الفقه، وإنما المقصود أن الأجر فيها عظيم والثواب فيها كبير ـ والله أعلم ـ.

---

(١) الهيثمي : مجمع الزوائد ٤ / ٧

(٢) الجراعي : تحفة الراكع والساجد ص ١٨٠

(٣) نفس المرجع .

٣ ـ إستحباب الإحرام من المسجد الأقصى بالحج والعمرة .

أ ـ روى أبو داود قال حدثنا أحمد بن صالح ثنا ابن أبي فديك عن عبدالله ابن عبد الرحمن بن يُحَنِّس عن يحيى بن أبي سفيان الأخنسي عن جدته حكيمة عن أم سلمة ـ زوج النبي ﷺ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من أهلَّ بحج أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أو وجبت له الجنة» شك عبدالله أيتهما(١) .

ب ـ روى الإمام أحمد ـ بسنده ـ إلى أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال : « من أحرم من بيت المقدس غُفر له ما تقدم من ذنبه »(٢) .

جـ ـ وروى ابن ماجه ـ بسنده ـ عن أم سلمة أيضا قالت : قال رسول الله ﷺ:« من أهلَّ بعمرة من بيت المقدس كانت كفارة لما قبلها من الذنوب »(٣) .

د ـ وقد عمل بمقتضى هذه الأحاديث جماعة من الصحابة والتابعين وسلف الأمة : ومن هؤلاء ابن عمر ، ومعاذ بن جبل، وكعب الأحبار ، ووكيع وغيرهم .

روى المقدسي في فضائل القدس ـ بسنده ـ عن نافع عن ابن عمر «أنه أحرم عام الحكمين من بيت المقدس» وفي رواية أخرى عن سالم عن ابن عمر «أنه أحرم بالعمرة في بيت المقدس »(٤). قال ابن حزم : «صح عن ابن عمر أنه أحرم من بيت المقدس »(٥). وقال ابن المنذر: «وثبت أن ابن عمر أهلَّ من إيلياء ـ وهو بيت المقدس»(٦) .

---

(١) سنن أبي داود ٢ / ١٤٤ ، البيهقي : السنن الكبرى ٥ / ٣٠ .

(٢) مسند الإمام أحمد ٦ / ٢٩٩

(٣) سنن ابن ماجه ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٣م ٢ / ٩٩٩

(٤) ضياء الدين المقدسي : فضائل بيت المقدس ـ دار الفكر بدمشق ط١ ١٩٨٥ ص ٨٩

(٥) ابن حزم : المحلي ـ مكتبة الجمهورية بالقاهرة ١٣٨٨هـ / ٧ / ٧٢

(٦) النووي : المجموع شرح المهذب ٧ / ١٧٢ ، العراقي : طرح التثريب في شرح التقريب٥ /

وروى ابن حزم - بالسند - عن عبدالله بن أبي عمار أنه كان مع معاذ بن جبل وكعب الخير: «فأحرما من بيت المقدس بعمرة وأحرم معهما»(١).

وذكر أبو داود في سننه عن وكيع: «يرحم الله وكيعاً أحرم من بيت المقدس يعني إلى مكة»(٢).

وروى الإمام أحمد في مسندة أن أم حكيم ابنة أمية بن الأخنس ركبت إلى بيت المقدس حتى أهلت منه بعمرة(٣).

آراء الفقهاء في هذه المسألة

أجمع العلماء على جواز تقديم الإحرام للحج والعمرة عن الميقات المكاني، وقد نقل الإجماع كثير من العلماء: منهم ابن المنذر، والخطابي، فقال ابن المنذر: «أجمع أهل العلم على أن من أحرم قبل أن يأتي الميقات فهو محرم»(٤)، ولم يخالف في ذلك إلا داود وتبعه ابن حزم حيث قال: «فإن أحرم من شيء من هذه المواقيت وهو يمر عليها فلا إحرام له، ولا عمرة له إلا أن ينوي إذا صار في الميقات تجديد إحرام، فذلك جائز، وإحرامه حينئذ تام، وحجه تام، وعمرته تامة»(٥)، ولكن قوله هذا مردود - كما قال النووي وغيره - بإجماع من قبله من العلماء (٦).

واختلفوا في أيهما أفضل: أن يحرم من الميقات، أم يقدِّم الإحرام عن الميقات، كأن يحرم من دويرة أهله، أو من بيت المقدس، أو نحوه؟ فذهب

(١) ابن حزم: المحلي ٧ / ٧٣
(٢) سنن أبي داود ٢ / ١٤٤
(٣) مسند الإمام أحمد ٦ / ٢٩٩
(٤) العراقي: طرح التثريب ٥ / ٦، ابن قدامة: المغنى ٣ / ٢٦٤
(٥) ابن حزم: المحلي ٧ / ٦٣
(٦) النـووي: المجموع ٧ / ١٨٢، العراقي: طرح التثريب ٦/٥

الحنفية وبعض الشافعية إلى أن الأفضل تقديم الإحرام عن الميقات ، فله أن يحرم من دويرة أهله أو من بيت المقدس ، لأنه أكثر تعظيماً وأوفر مشقة ، والأجر على قدر المشقة ، كما استدلوا بأحاديث الإهلال من بيت المقدس السابقة ، وبفعل جماعة من الصحابة والتابعين وسلف الأمة كابن عمر ومعاذ وكعب وغيرهم(١).

وذهب المالكية والحنابلة وبعض الشافعية إلى أن الأفضل الإحرام من الميقات ، ويكره الإحرام من دويرة أهله ، أو من بيت المقدس ، لأن النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم كانوا لا يحرمون إلا من الميقات ، وهم لا يفعلون إلا الأفضل(٢).

مناقشة واختيار

لقد ناقش الفريق الثاني أحاديث الإهلال بالحج والعمرة من بيت المقدس فضعفها بعض العلماء ، وحملها البعض الآخر على معنى آخر .

أما الذين ضعفوها فقالوا: إن رواية أبي داود فيها ابن أبي فديك ، ويحيى ابن أبي سفيان الأخنسي ، قال ابن سعد: ابن أبي فديك ليس بحجة(٣)، وقال ابن حزم وغيره : يحي بن أبي سفيان الأخنسي مجهول(٤).

---

(١) حاشية ابن عابدين ٢ / ٤٧٨ ، الزركشي: اعلام الساجد باحكام المساجد ص ٢٨٩ .

(٢) ابن جزي : قوانين الأحكام ص ١٤٩ ، ابن قدامة: المغنى ٣ / ٢٦٥ ، ابن مفلح: المبدع ٣ / ١١٣ ، الجراعي: تحفة الراكع والساجد ص ١٨٨ ، النووي: المجموع ٧ / ١٧٩ ، العراقي: طرح التثريب ٥ / ٦

(٣) ابن ملفح: المبدع ٣ / ١١٣ ، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩ /٦١

(٤) ابن حزم: المحلي ٧ / ٧٤

ويجاب عن ذلك: بأن ابن أبي فديك ثقة ويحتج به في الكتب الستة ، قال فيه النسائي : ليس به بأس ، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن معين : ثقة[1]، وأما الأخنسي فهو شيخ من شيوخ المدينة ، ذكره ابن حبان في الثقات، قال الذهبي : وثق[2]. فرواية أبي داود يمكن الاحتجاج بها والاعتماد عليها .

أما رواية أحمد ففي سندها ابن لهيعة،[3] وفيه مقال معروف. وأما الذين حملوها على معنى آخر فمنهم القاضي أبو يعلي الحنبلي حيث قال : إن معنى أهلً أي قصد[4]، فيكون معنى الحديث قصد المسجد الأقصى لينطلق منه إلى مكة المكرمة ولا يحرم إلا من الميقات ، ويجاب عن ذلك بأن بعض الروايات صرحت بالإحرام ، فلا يحمل الحديث على غير ذلك .

وبناء على ما سبق فإنه يمكن العمل برواية أبي داود ، فيكون للإحرام من بيت المقدس بالحج أو العمرة فضيلة خاصة: وهي غفران الذنوب وتكفيرها، لأنه قصد الوصل بين أشرف البقاع: بيت المقدس ومكة المكرمة ، والجمع بين الصلاة في أفضل المساجد : المسجد الأقصى، والمسجد الحرام بإحرام واحد، قال ابن قدامة: «ويحتمل اختصاص هذا ببيت المقدس دون غيره ليجمع بين الصلاة في المسجدين بإحرام واحد ، ولذلك أحرم ابن عمر منه ، ولم يكن يحرم من غيره إلا من الميقات»[5]، وان بقاء المسجد الأقصى في قبضة اليهود الغاصبين في الوقت الحاضر يحول دون تمكن المسلمين من تطبيق هذا الحكم . ولذا فيجب

---

(١) ابن مفلح : المبدع ٣ / ١١٣ ، ابن حجر تهذيب التهذيب ٩ / ٦١

(٢) الشوكاني: نيل الاوطار ٤ / ٣٣٣، ابن حجر: تهذيب التهذيب ١١ / ٢٢٤، المناوي : فيض القدير ٦ / ٩١

(٣) الجراعي: تحفة الراكع ص ١٨٨

(٤) ابن مفلح: المبدع ٣ / ١١٣، الجراعي: تحفة الراكع ص ١٨٨

(٥) ابن قدامة : المغني ٣ / ٢٦٥ .

على المسلمين أن يعملوا على تحريره ، وتخليصه من قبضة الغاصبين ليعود إلى وضعه الطبيعي ويتمكن المسلمون في جميع بقاع الأرض من أداء نسكهم كما أرشد إليه رسولنا الكريم في الحديث .

٤ ـ تضاعف فيه السيئات كما تضاعف الحسنات

حكى عن بعض السلف أن السيئات تضاعف في بيت المقدس كما تضاعف الحسنات، وذلك لشرف المكان وتعظيمه .

وروى أبو بكر الواسطي عن نافع قال: قال لي ابن عمر ـ ونحن في بيت المقدس ـ: «يا نافع أخرج بنا من هذا البيت فإن السيئات تضاعف فيه كما تضاعف الحسنات»[١] وروي عن كعب الأحبار أنه كان يذهب من حمص إلى بيت المقدس للصلاة فيه فإذا صار منه قدر ميل اشتغل بالذكر والتلاوة والعبادة حتى يخرج عنه بقدر ميل أيضاً ، ويقول: «السيئات تضاعف فيه»[٢] وروى ابن الجوزي عن إسماعيل بن عياش قال سمعت جرير بن عثمان وصفوان بن عمرو يقولان : «الحسنة في بيت المقدس والسيئة بألف»[٣].

وقيل: إن السيئات لا تضاعف في الأماكن المعظمة لعموم قوله تعالى : ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٤]، ولما روي عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال : «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيّن ذلك فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله حسنة كاملة ، وإن

---

(١) الزركشي: اعلام الساجد ص ٢٩٠ ، ابن الجوزي: فضائل القدس ص ٩١

(٢) الزركشي : المرجع السابق .

(٣) ابن الجوزي: المرجع السابق .

(٤) آية ١٦٠ من سورة الأنعام .

همَّ بها فعملها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة»(١) .

وتحقيق القول في هذه المسألة أن المضاعفة تقع على العقوبة ومقدارها ، لا على كمية السيئات وعددها ، فالمقترف لعشر سيئات في بيت المقدس تسجل عليه عشر سيئات ، ولكن العقوبة تغلظ ، لشرف المكان وتعظيمه ، فإن من عصى الملك على بساط ملكه ليس كمن عصاه في موضع بعيد .

فإن قيل: لا فرق بين مضاعفة كمية السيئات وعددها ومضاعفة العقوبة وتغليظها . يقال: إنه جاء أن من زادت حسناته على سيئاته في العدد دخل الجنة ، ومَنْ زادت سيئاته على حسناته دخل النار ، ومن استوت حسناته وسيئاته عدداً كان من أهل الأعراف . فيكون للمضاعفة في العقوبة دون المضاعفة في عدد السيئات معنى: وهو عدم رجحان السيئات على الحسنات عند الذين يسكنون في بيت المقدس إذا كان عدد الحسنات أكثر من السيئات .

٥ ـ فضل مجاورة المسجد الأقصى :

ذهب كثير من العلماء إلى استحباب مجاورة المسجد الأقصى(٢) لما يحصل فيه من الطاعات التي لا تحصل في غيره: من تضعيف الصلوات والحسنات ، ولكون بيت المقدس عقر دار المؤمنين يوم اشتداد المحن والفتن ، ولأن الدجال لا يدخل بيت المقدس .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٢ / ١٥٠ .

(٢) الزركشي: أعلام الساجد بأحكام المساجد ص ٢٩٠ ، الجراعي : تحفة الراكع والساجد في أحكام المساجد ص١٨٨ ، ابن الجوزي: فضائل القدس ص ٩١ .

وقد سكن بيت المقدس كثير من الصحابة والتابعين والصالحين ومن هؤلاء :

أ ـ عبادة بن الصامت : الصحابي الجليل المجاهد الكبير الذي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، والذي ولاه عمر رضي الله عنه قضاء حمص ، ثم انتقل إلى فلسطين، ومات بها ودفن ببيت المقدس عام ٣٤هـ[١].

ب ـ شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري : الصحابي الجليل ولاه عمر رضي الله عنه إمارة حمص . قال فيه عبادة بن الصامت : «وكان شداد بن أوس ممن أوتي العلم والحلم» نزل فلسطين وسكن بيت المقدس وتوفي فيها سنة ٥٨هـ[٢].

جـ ـ أبو ريحانة شمعون الأنصاري : وهو مشهور بكنيته ، له صحبه وسماع ، ورواية ، كان من الفضلاء الأخيار سكن بيت المقدس ومات فيها[٣].

د ـ ذو الأصابع التميمي اليمني : صاحب النبي ﷺ سكن بيت المقدس ومات فيها[٤].

هـ ـ يعلى بن شداد بن أوس من كبار التابعين ، أدرك زمن النبوة وأسلم زمن أبي بكر . أتى بيت المقدس للصلاة فيه[٥].

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ـ دار صادر بيروت ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م ٣ / ٥٤٦

(٢) المنهاجي : اتحاف الأحصا بفضائل الأقصى ٢ / ٢٩

(٣) نفس المرجع ٢ / ٢٩ ـ ٣٠

(٤) نفس المرجع ٢ / ٣٢

(٥) نفس المرجع ٢ / ٣٦

و ــ محارب بن دثار السدوبي : تابعي روى عن عمر وجابر وغيرهما ، قال: صحبنا القاسم بن عبد الرحمن إلى بيت المقدس فغلبنا على ثلاث : قيام الليل ، والبسط في النفقة ، والكف عن الناس[١] .

ز ــ إبراهيم بن أبي عبلة : تابعي روى عن أبي أمامة وأنس، توفي سنة اثنتين وخمسين من الهجرة[٢].

ح ــ إبراهيم بن أدهم : أحد الزهاد ، ذكره ابن حبان في ثقات أتباع التابعين ، روى عن الشعبي والثوري ، وبقية بن الوليد ، أصله من بلخ ، انتقل بعد أن تاب وترك الإمارة إلى الشام طلباً للحلال ، وأقام بها مرابطاً غازياً على الجهد الجهيد والفقر الشديد ، والخدمة للأصحاب ، والسخاء الوافر والورع الدائم[٣] .

ط ــ الإمام محمد الطرطوشي الفهري المالكي : رحل إلى بلاد الشرق سنة ست وتسعين وأربعمائة وقدم بيت المقدس وحج وتفقه على أبي بكر الشاشي وسكن الشام ودرس بها[٤].

ي ــ الإمام أبو حامد الغزالي : حجة الإسلام الطوسي ، أقام بدمشق مدة ثم انتقل إلى بيت المقدس ورحل إلى الاسكندرية وأقام بها مدة ، ثم عاد إلى طرسوس ، مات سنة خمس وخمسمائة[٥].

---

(١) نفس المرجع ٢ / ٤١
(٢) نفسه
(٣) المرجع السابق ٢ / ٤٧
(٤) المرجع السابق ٢ / ٥٣
(٥) نفسه

ك ـ الشيخ الزاهد أبو عبدالله الدمشقي محمد بن أحمد بن إبراهيم : له كرامات ظاهرة ، ومناقب جليلة باهرة ، وأهل مصر يذكرون عنه أشياء خارقة . قدم بيت المقدس ، وأقام به إلى أن مات سنة تسع وتسعين وخمسمائة[1] .

ب ـ عمارة المسجد الأقصى ومسجد الصخرة وعناية الخلفاء بهما :

حينما فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس لم يكن المسجد الأقصى المعروف الآن ، والواقع في الجهة الجنوبية من الحرم الشريف موجوداً ، كما أن مسجد الصخرة المشرفة لم يكن موجوداً حينئذ ، وإنما الموجود المكان الذي أحيط بالسور بما فيه من ساحات واسعة والصخرة المشرفة ، وهذا هو المراد بالمسجد الأقصى في قوله تعالى : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2]لأن المسجد شرعاً يطلق على كل موضع من الأرض لقوله ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً »[3]، وعرفاً يطلق على المكان المهيأ للصلوات الخمس، وأما المصلى فيطلق على المكان المخصص لاجتماع الأعياد ونحوها ، ولأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما كان في بيت المقدس سأل كعب الأحبار عن مكان يبنى فيه المسجد فقال كعب : خلف الصخرة ـ ليجمع المصلى بين القبلتين ـ فقال عمر رضي الله عنه لكعب : لقد خالطتك يهودية ، بل نبنيه أمامها فبناه في قبلي المسجد[4] . وبذلك يتبين أن أول من بنى المسجد الأقصى في الإسلام هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد اتفق المؤرخون على أن عمر بن

---

(١) نفس المرجع ٢ / ٥٥

(٢) آية : ١ من سورة الاسراء .

(٣) رواه الامام أحمد في مسنده ٢ / ٢٢٢ .

(٤) الجراعي : تحفة الساجد ص ١٨٢ .

الخطاب قد أقام مسجداً متواضعاً وصغيراً في الجزء الجنوبي من الحرم القدسي بالقرب من المكان الذي يقال إن الرسول ﷺ قد ربط به البراق ليلة الإسراء والمعراج[1] .

وفي عهد عبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦هـ) بنى مسجد الصخرة المشرفة وهو من أعظم الآثار الإسلامية في فلسطين ، وتعتبر قبته من أعظم العمارات الإسلامية في الجمال والفخامة وإبداع الزخرفة ، كما تمتاز ببساطة التصميم وتنسيق الأجزاء تمَّ بناؤها في (٧٢هـ)، وقال ابن بطوطة في وصفها: «وهي من أعجب المباني وأثمنها وأغربها شكلا ، قد توفر حظها من المحاسن وأخذت من كل بديعة بطرف ، وهي قائمة على نشز في وسط المسجد يصعد إليها في درج رخام ، ولها أربعة أبواب ، والدائر بها مفروش بالرخام أيضاً محكم الصنعة وكذلك داخلها . وفي ظاهرهاوباطنها من أنواع الزواقة (الزينة) ورائق الصنعة ما يعجر الواصف، وأكثر ذلك مغشى بالذهب فهي تتلألأ نوراً وتلمع لمعان البرق ، يحار بصر متأملها في محاسنها ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها ، وفي وسط القبة الصخرة الكريمة التي جاء ذكرها في الآثار ، فإن النبي ﷺ عرج منها إلى السماء ، وهي صخرة صماء ارتفاعها نحو قامة ، وتحتها مغارة في مقدار بيت صغير : ارتفاعها نحو قامة أيضاً ، ينزل إليها على درج ، وهنالك شكل محراب ، وعلى الصخرة شباكان اثنان محكما العمل يغلقان عليها ، أحدهما وهو الذي يلي الصخرة من حديد بديع الصنعة ، والثاني من خشب ، وفي القبة ورقة كبيرة من حديد معلقة هنالك والناس يزعمون أنها ورقة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه »[2] .

---

(١) المقدسي : احسن التقاسيم ص ٧٢ ، ابن خلدون : المقدمة ص ٣١٠ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ص ٥٨ .

وقد ذهب اليعقوبي إلى أن عبد الملك بن مروان قصد من عنايته الفائقة ببناء قبة الصخرة صرف أهل الشام عن الذهاب لزيارة الكعبة المشرفة والحج إلى بيت الله الحرام[١] لئلا يلتقوا بعبدالله بن الزبير الذي خرج على عبد الملك واعتصم بمكة وبايعه أهل العراق والحجاز .

ويبدو أن هذه الرواية من وضع منافسي بني أمية ، فقد ذكرها اليعقوبي في تاريخه ولم يذكرها غيره من المؤرخين، واليعقوبي ينتسب إلى العباسيين ، وموقفه معروف من بني أمية. وليس من المعقول أن يقوم عبد الملك ـ الذي كان من التابعين الورعين ـ بمحاولة لتغيير موقع أحد أركان الإسلام وهو الحج .

والمنصف من المؤرخين يرى أن السبب في بناء قبة الصخرة هو رغبة عبد الملك بن مروان بناء مسجد للمسلمين يضاهي في جماله وروعته ، وحسن تنسيقه ما لكنائس النصارى من الروعة ، ولا سيما كنيسة القيامة وفي ذلك يقول المقدسي : «أنه ـ أي عبد الملك ـ عندما رأى قبة كنيسة القيامة ، وكان المسيحيون يحجون إليها من كل صوب خشي أن تؤثر بفخامتها وروعتها على قلوب المسلمين فاعتزم أن يبني في القدس قبة مثلها أو أحسن منها وفعل »[٢] .

وقد كانت قبة الصخرة موضع التقدير والعناية والاهتمام من جميع الخلفاء والحكام المسلمين ، فهم يسارعون في ترميمها وصيانتها إذا ما ظهر فيها أي تصدع ، فقد سارع بترميمها عبدالملك بن مروان بعد تصدعها إثر الزلزال الذي حدث سنة (٨٦ هـ) كما تولى إصلاحها الخليفة العباسي عبدالله المأمون ، وأمر الخليفة الحاكم بأمر الله بالإسراع بترميمها إثر زلزال سنة (٤٠٧ هـ) ، وبعد أن

---

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ـ دار صادر ببيروت ٢ / ٢٦١ .
(٢) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٦٦ .

حرر صلاح الـدين بيت المقدس سنـة (٥٨٣هـ) سارع إلى إزالـة آثار العـدوان الصليبي من صور وتماثيل ونقوش وثنية وغير ذلك[١] .

وقد سجل في نقوش أسفل رقبة القبة أسماء سلاطين دولة المماليك الذين قاموا بصيانة قبة الصخرة مثل بيبرس ، والملك العادل كتبغا ، والناصر محمد بن قلاوون . وكما أوقف الملك الأشرف برسباي سنة (٨٣٦هـ) بعض الحبوس والأملاك على قبة الصخرة ، وكذلك قدم الملك الظاهر جقمق سنة (٨٥٢هـ) إلى ناظر الحرم القدسي ألفين وخمسمائة دينار ذهب ومائة وعشرين قنطاراً من الرصاص ، لعمارة قبة الصخرة من الخارج ، وفي عهد السلطان الأشرف قايتباي سنة (٨٧٢هـ) صنعت الأبواب النحاسية للمداخل الرئيسية لقبة الصخرة. وفي عهد السلطان سليمان القانوني العثماني كسى جدار القبة من الخارج بالرخام وبلاط القاشاني. وقد لقيت قبة الصخرة عناية فائقة من سلاطين آل عثمان كالسلطان محمود ، وعبد المجيد ، وعبد الحميد وعبد العزيز ، وعبد المجيد الثاني وغيرهم[٢] .

وأما المسجد الأقصى المعروف اليوم فقد شرع عبد الملك بن مروان في بنائه بعد أن أتم بناء قبة الصخرة ، ولكنه لم يتم إلا في عهد ابنه الوليد حتى قيل هو الذي بناه . ويصفه المقدسي وغيره من المؤرخين : بأنه طويل عريض وطوله أكثر من عرضه ، وهو في غاية الحسن والإحكام ، مبني على أعمدة من الرخام ، ملون بالفسيفساء التي ليس في الدنيا أحسن منها[٣] .

---

(١) محمد كرد علي : خطط الشام ١ / ١٣٩ .
(٢) محمود العابدي : الآثار الاسلامية في فلسطين والاردن ص ٩٣ .
(٣) ياقوت : معجم البلدان ٥ / ١٩٨ .

وقد حظى المسجد الأقصى بعناية الخلفاء والحكام المسلمين منذ بنائه فوقفوا الأوقاف عليه ، وسارعوا إلى ترميم ما تصدع منه ، وأعادوا بناء ما تهدم. فقد روى إبراهيم بن أبي عبلة أنه قال: «رحم الله الوليد وأين مثل الوليد؟ افتتح الهند والأندلس ، وبنى مسجد دمشق ، وكان يعطيني قطع الفضة أقسمها على قراء مسجد بيت المقدس»[١] ، وفي سنة (١٥٤هـ) زار المنصور بيت المقدس فطلب أهل بيت المقدس منه ترميم ما أصاب المسجد الأقصى من خراب بسبب الزلزال الذي أصاب البلاد سنة (١٣٠هـ)، ولعدم توفر المال اللازم لذلك لديه أمر بنزع الصفائح الذهبية والفضية التي كانت ملبسة على الأبواب وضربت نقوداً وانفقت على تعمير المسجد الأقصى[٢] . وعندما زاره الخليفة المهدي سنة (١٦٣هـ) طلب أهل بيت المقدس تعمير ما خرب منه بسبب الزلزال الذي أصاب البلاد بعد ترميم المنصور له ، فأعاد المهدي بناءه، ثم توالت يد الترميم والصيانة والرعاية للمسجد الأقصى طوال العهود الإسلامية ولم تتوقف هذه الأعمال إلا في عهد الإحتلال الصهيوني سنة (١٩٦٧م) بسبب العقبات التي وضعت في طريق المقاولين والمعماريين القائمين بالعمل ، هذا فضلا عن أعمال التنقيب والحفر التي قام بها الأثريون الإسرائيليون بجوار الحرم الشريف مما هدد جميع المقدسات بالتصدع والسقوط .

---

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٣٥١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٥ / ٣٧ .

ثانياً: استقرار الحياة العامة في بيت المقدس وما حوله في ظل الحكم الإسلامي

لقد شهدت مدينة بيت المقدس قبل الفتح الإسلامي لها ثورات ومؤامرات وحروب مدمرة ومعارك طاحنة ففي سنة (٥٥٨ق.م.) استولى عليها ملك بابل، فقام الجيش بإحراقها وتدميرها ونهبها، وفي سنة (٥٣٨ق.م.) تعرضت مدينة بيت المقدس لغزو الفرس،وفي سنة (٣٣٢ق.م.) تعرضت لغزو الإغريق بقيادة الاسكندر المقدوني، وأبقى الوضع على ما هو عليه من قبل وتجاوزها إلى مصر. ولما انتقل حكم البطالمة المقدونيين إلى السلوقيين تعرضت بيت المقدس إلى ثورة يهودية استمرت عدة سنوات بقيت البلاد خلالها في فوضى وقلاقل داخلية إلى أن تمكن «مكابيوس» من ضبط زمام الأمور في سنة (١٦٣ق.م.) وفي سنة (٦٣ق.م.) تعرضت البلاد للغزو الروماني بقيادة «بومبي» فقام بتحطيم أسوار القدس وتخريبها، وفي سنة (٤٠م) تعرضت المدينة للغزو الفارسي للمرة الثانية، فقام اليهود بثورة استمرت خمس سنوات(١).. وهكذا فإن الثورات لم تهدأ والحروب لم تضع أوزارها في تلك المدينة المقدسة إلى أن تم فتحها على يد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واستظلت بظل الحكم الإسلامي سنة (١٦هـ ـ ٦٣٦م) فتمتعت بالهدوء والاستقرار طيلة ثلاثة عشر قرناً باستثناء فترة الحروب الصليبية (٤٩٣ ـ ٥٨٣هـ / ١٠٩٩ ـ ١١٨٧م).

لقد هدأت الثورات ووضعت الحرب أوزارها في تلك المدينة وحظيت بالأمن والأمان، وأصبحت المكان الآمن لكل من يلوذ إليها، فلما زار برنارد

---

(١) انظر: ظفر الاسلام خان: تاريخ فلسطين القديم ٢٣ ـ ١٣٤، مصطفى الدباغ بلادنا فلسطين ص ٣٠ ـ ٧٧، إسحق موسى الحسيني: عروبة بيت المقدس ص ٩ ـ ١٧.

الحكيم القدس عام (٨٧٠م) تحدث عن استقرارها بقوله : « إن المسلمين والمسيحيين في القدس ومصر على تفاهم تام حتى انني إذا سافرت ونفق في الطريق جملي أو حماري وتركت أمتعتي مكانها وذهبت لاكتراء دابة من البلدة المجاورة عدت فوجدت كل شيء على حاله لم تمسه يد ، فقانون الأمن العام في تلك الديار يقضي على كل مسافر بالليل أن يكون بيده وثيقة تبين هويته فإذا عدمها زُجَّ في السجن حتى يحقق في أمره ويتضح قصده »[١] .

وقال المقدسي في وصفها : « إنك لا ترى فيها بخساً ولا تطفيفاً ولا شرباً ظاهراً ولا سكران ، ولا بها دور فسق »[٢] .

وقد شهدت بيت المقدس في ظل الحكم الإسلامي نشاطاً علمياً واسعاً ، فتأسست فيها المدارس والمساجد والمستشفيات وهرع إليها العلماء من كل مكان حتى أصبحت هذه المدينة دارة العلم والعلماء[٣] . وقد خرجت بيت المقدس أسرة آل قدامة التي تركت أثرها الواضح في تاريخ الفكر الإسلامي والتي رحلت من جماعيل واستقرت في الصالحية بدمشق وأخرجت من العلماء ما يزيد على (١١٥) عالماً بين رجال ونساء على امتداد ثلاثة قرون ونصف منهم : الحافظ الإمام عبدالغني بن عبدالواحد بن سرور الجماعيلي المقدسي (ت ٦٠٠ هـ) ولد في جماعيل سنة (٥٤١ هـ) ، وانتقل إلى دمشق صغيراً، ثم رحل إلى بغداد ومصر والاسكندرية وسمع الحديث من الحافظ السلفي وغيره حتى أصبح حافظ الوقت ومحدثه ، واشتهر بكثرة التصانيف : كعمدة الأحكام من كلام خير الأنام ، والكمال في أسماء الرجال ، والنصيحة في الأدعية الصحيحة وغيرها . توفي بمصر

(١) زياد نقولا : رواد الشرق العربي في العصور الوسطى ص ٥٥ نقلا عن بلادنا فلسطين ص ١٣٠ .
(٢) المقدسي : احسن التقاسيم ص ٧٧ .
(٣) انظر: عبدالجليل عبدالمهدي : المدارس في بيت المقدس ـ مكتبة الاقصى ١٩٨١ م .

سنة ستمائة للهجرة[1] : وضياء الدين محمد بن عبدالواحد بن أحمد المقدسي (ت ٦٤٣ هـ) ؛ ولد في دمشق وبنى فيها المدرسة الضيائية ، من مؤلفاته سبب هجرة المقادسة الى دمشق، والاحاديث المختارة وفضائل الشام وغيرها[2] . وعبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (٦٣٠ هـ) . ولد في سنة (٥٤١ هـ) بجماعيل ، وقدم دمشق مع أهله وله عشر سنين ، صاحب كتاب المغني في الفقه[3] . وجمال الدين يوسف بن حسن بن أحمد بن عبدالهادي (٩٠٩ هـ) صاحب التصانيف الكثيرة والتي بلغت أكثر من ستمائة مصنف[4] . وعبدالغني بن إسماعيل بن عبدالغني النابلسي (١١٤٣ هـ) : صاحب كتاب الحضرة الآنسية في الرحلة القدسية والذي جاء فيه « وقد زرنا في تلك القرية ـ يعني جماعيل ـ ديار أجدادنا بني قدامة الذين هاجروا من تلك البلاد وجاءوا إلى دمشق وسكنوا بالصالحية في ذيل جبل قاسيون . . »[5] .

وعائشة بنت محمد بن عبدالهادي المقدسي (٨١٦ هـ) سيدة المحدثين في عصرها بدمشق ، روى عنها ابن حجر العسقلاني وقرأ عليها كتباً كثيرة ، وانفردت في آخر عصرها بعلم الحديث قال الصفدي : كانت أسند أهل الأرض في عصرها[6] .

---

(١) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ـ مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ٢ / ٥ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ١٣ / ١٦٩ .

(٣) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ـ مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٢م ٢ /١٣٣ .

(٤) انظر : «ابن عبدالهادي وأثره في الفقه الاسلامي » رسالة دكتوراه للمؤلف مطبوعة على الآلة الكاتبة .

(٥) الحضرة الانسية في الرحلة القدسية ـ مكتبة القاهرة ١٩٧١م ص ١١ .

(٦) محمد بن طولون : القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية تحقيق محمد دهمان نشرة مكتب الدراسات الاسلامية بدمشق ١٩٤٩م ص ٣١٠ .

الخاتمة

هذه هي الخصائص العامة لبيت المقدس وما حوله حاولت جهدي إبرازها بصورة واضحة جلية ومدعمة بالأدلة الثابتة القوية ، وعرضت خلالها الأحكام والمسائل الفقهية الخاصة ببيت المقدس عرضاً يعتمد على الاستدلال والتحقيق ، ويتضح من هذا البحث الأمور التالية :

١ ــ أن أرض بيت المقدس وما حوله مباركة أثبت الله فيها الخير الإلهي كثبوت الماء في جوف الأرض ، فهي جنة الله في أرضه من الناحية المادية ، وهي دار الأنبياء والصالحين أحياء وأمواتاً ، وهي أرض المحشر والمنشر في آخر الزمان ، تضاعف فيها الحسنات وتنمو بها الأجور ، ويحرص الصالحون على زيارتها وسكناها ، فينبغي أن تكون طريقها سالكة ، والسبل المؤدية إليها مأمونة ، وأن تزال كل العقبات التي تحول دون الوصول إليها من عدوان أو اغتصاب .

٢ ــ أن أرض بيت المقدس وما حوله مقدسة مطهرة من الشرك والظلم : فهي لا تتحمل الشرك المنافي للتوحيد الخالص ، وهي تتأفف من وجود أمم فاسدة وعاتية ، ودول ظالمة ومتعالية ، ولا تمكن لتلك الأمم والدول من العيش فيها مدة طويلة ، وهي تنفي خبثها كما تنفي النار خبث الفضة . وهذه صفة ثابتة ومستمرة مادامت السموات والأرض توكل الله تعالى برعايتها وتنفيذ وعيده بالأمم والدول الظالمة « وإن عدتم عدنا »[1] ، ومما لا شك ريب أن هذا الوعيد سيحيق

(١) آية : ١ من سورة الاسراء .

بيهود اليوم الذين طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد فاغتصبوا الأوطان ، ودمروا البيوت على ساكنيها وأهلكوا الحرث والنسل ، قال ﷺ : « تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر : يا مسلم يا عبدالله هذا يهودي ورائي فاقتله »[1] ، ولكن قدر الله في اليهود لا يتحقق إلا على أيدي ثلة من المؤمنين الذي اعتصموا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وباعوا أنفسهم وأموالهم لله تعالى ـ كما أخبر الرسول ﷺ في الحديث ـ فينبغي لمسلمي اليوم أن يهيئوا أنفسهم ويعدوا العدة لذلك اليوم الفاصل ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾[2] .

٣ ــ أن أرض بيت المقدس وما حوله إسلامية فتحها رسول الله ﷺ فتحاً مادياً حينما اسري به إليها بروحه وجسده ، وفتحها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السنة السادسة عشرة للهجرة ، ومنذ ذلك الوقت اكتسبت صفة الإسلامية ، ودخلت في دار الإسلام وأصبحت جزءاً لا يتجزأ منها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فلا تزول عنها تلك الصفة لأي عارض من عدوان أو اغتصاب ، ويجب على المسلمين أن يدافعوا عنها بكل ما يملكون من قوة ، ويعملوا على تحريرها كاملة غير منقوصة من أيدي الغاصبين الذين يعملون على إزالة معالم الإسلام العامة فيها كالمساجد والأحياء القديمة والأسواق الإسلامية وغير ذلك .

٤ ــ أنّ معرفة هذه الخصائص توجب على المسلم رفض جميع الحلول الاستسلامية المطروحة في هذا الوقت لحل القضية الفلسطينية ، لأنها تتضمن التنازل الفعلي عن غالبية أرض فلسطين الإسلامية المباركة لليهود في مقابل السلام الهزيل .

---

(١) مر تخريجه وهو صحيح رواه الامام مسلم في صحيحه .

(٢) آية : ٥١ من سورة الاسراء .

٥ ـ أن معرفة هذه الخصائص توجب على المسلم رفض فكرة الوطن البديل عن أرض الإسراء والمعراج ، لأنها ليست مجرد أرض عاش عليها شعب وأقام عليها كيانه ، وإنما هي أرض مباركة ومقدسة نبتت فيها عقيدة التوحيد ، ونشأت عليها حضارة الإسلام ، وكل جزء منها ينبئك بتاريخ عريض ومجد تليد : اختلط ترابها الطاهر بدم الأنبياء والحواريين وسرى إليها رسولنا الكريم واستشهد فيها كثير من الصحابة والتابعين ، فهي عند المسلم قضية عقيدة وحضارة وليست قضية أرض وتراب .

٦ ـ أن حرص الخلفاء والحكام الدائم على عمارة المسجد الأقصى وترميمه كلما أصابه شيء من التصدع أو التلف يوجب على حكام المسلمين اليوم في جميع بقاع الأرض العمل الجاد على تحرير المسجد الأقصى من قبضة يهود الذين يبيتون النية على إزالته من الوجود لإقامة الهيكل مكانه .

والله أسأل أن يبعث في هذه الأمة من يجدد لها أمر دينها فيبصرها بطريق الذين أنعمت عليهم ، ويجنبها طريق المغضوب عليهم والضالين ، وييسر لهم طريق الجهاد والتحرير لإقامة حكم الله في واقع البشر أجمعين .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب اليك .

المراجع والمصادر

أولا : كتب التفسير .

١ ـ تفسير القرآن الكريم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٧٤ هـ) ـ دار المعرفة ببيروت .

٢ ـ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١ هـ) دار احياء التراث العربي ببيروت ـ ١٩٦٥ م .

٣ ـ زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (٥٩٦ هـ) ـ المكتب الإسلامي ببيروت ط ١ ـ ١٩٦٤م .

٤ ـ تفسير المنار ـ السيد محمد رشيد رضا ـ دار المعرفة ببيروت ط ٢ .

ثانيا : كتب الحديث .

٥ ـ تهذيب التهذيب لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر (٨٥٢ هـ) ـ دار صادر ببيروت ـ مصور عن طبعة دائرة المعارف العثمانية سنة ١٣٢٥ هـ .

٦ ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول لمجد الدين أبي السعادات بن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) ـ دار البيان بدمشق ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩م .

٧ ـ سنن ابن ماجة ـ لابي عبدالله محمد بن زيد القزويني المعروف بابن ماجة (ت ٢٧٥ هـ) مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٣م .

٨ ـ سنن ابي داود ـ لابي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥ هـ) ـ دار احياء السنة المحمدية ـ مصور .

٩ ــ سنن الترمذي ـ لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٧٩ هـ) ـ دار إحياء التراث العربي ببيروت .

١٠ ــ السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٤٥٨ هـ) ـ دار الفكر ببيروت .

١١ ــ شرح النووي على مسلم ليحيى بن شرف بن مري الحوراني النووي (٦٧٦ هـ) المطبعة المصرية بالقاهرة .

١٢ ــ صحيح البخاري لابي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦ هـ) ـ المكتب الإسلامي باستانبول ١٩٧٩م .

١٣ ــ صحيح مسلم لابي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١ هـ) طبعة ادارة البحوث العلمية بالرياض ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م .

١٤ ــ طرح التثريب في شرح التقريب لابي الفضل عبدالرحيم بن الحسين العراقي (٨٠٦ هـ) ـ دار احياء التراث العربي ببيروت .

١٥ ــ عمدة القاري في شرح صحيح البخاري للشيخ بدر الدين بن محمد محمود بن أحمد العيني (٨٥٥ هـ) دار الفكر ببيروت .

١٦ ــ فضائل بيت المقدس لضياء الدين محمد بن عبدالواحد المقدسي (٦٤٣ هـ) ـ دار الفكر بدمشق ط ١ ـ ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

١٧ ــ فضائل الشام لابي الحسن الربعي (٤٤٤ هـ) ـ المكتب الاسلامي ببيروت ط ٤ ـ ١٤٠٣ هـ .

١٨ ــ فيض القدير لعبدالرؤوف المناوي (١٠٣١ هـ) ـ دار المعرفة ببيروت ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧٢ م .

١٩ ــ مجمع الزوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧ هـ) ـ دار الكتاب العربي ببيروت .

٢٠ ــ مسند الإمام أحمد لأبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل (٢٤١ هـ) ـ دار صادر ببيروت .
٢١ ــ مناقب الشام وأهله لأبي العباس تقي الدين أحمد بن تيمية (٧٢٨ هـ) المكتب الإسلامي ببيروت ط ٤ ـ ١٤٠٣ هـ .
٢٢ ــ نيل الأوطار لمحمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠ هـ) ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ـ الطبعة الأخيرة .

ثالثا : كتب الفقه .

٢٣ ــ الأحكام السلطانية لابي الحسن علي بن حبيب الماوردي (٤٥٠ هـ) مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة ١٩٥٨ م .
٢٤ ــ الأحكام السلطانية لابي يعلي محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (٤٥٨ هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ط ٢ ـ ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م .
٢٥ ــ إعلام الساجد بأحكام المساجد لمحمد بن عبدالله الزركشي (٧٩٤ هـ) ـ طبعة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة ١٣٨٥ هـ .
٢٦ ــ الإفصاح عن معاني الصحاح ليحيى بن محمد بن هبيرة (٥٦٠ هـ) مطبعة الكيلاني بالقاهرة ١٩٨٠ م .
٢٧ ــ الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤ هـ) ـ مكتبة الكليات الازهرية بالقاهرة ط ١ ـ ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م .
٢٨ ــ البحر الزخار الجامع لمذاهب الأمصار ـ أحمد بن يحيى بن المرتضى الزبيدي (٨٤٠ هـ) ـ مؤسسة الرسالة ببيروت ط ٢ ـ ١٣٩٤ هـ .
٢٩ ــ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين ابي بكر بن مسعود الكاساني (٥٨٧ هـ) مطبعة الإمام بالقاهرة ١٩٧٢ م .
٣٠ ــ در المنتقى في شرح الملتقى لمحمد بن علاء الدين الإمام الحصكفي

(١٠٨٨ هـ) على هامش مجمع الانهر ـ دار احياء التراث العربي ببيروت .
٣١ ـ تحفة الراكع والساجد لتقي الدين أبي بكر بن زيد الجراعي الحنبلي (٨٨٣هـ) المكتب الاسلامي ببيروت ط١ ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .
٣٢ ـ تحفة المحتاج بشرح المنهاج لأحمد بن حجر الهيتمي (٩٧٤ هـ) .
٣٣ ـ حاشية البجيرمي على شرح المنهج للأنصاري ـ لسليمان بن عمر بن محمد البجيرمي (القرن ١٤ هـ) المكتبة الاسلامية بتركيا .
٣٤ ـ رحمة الأمة في اختلاف الائمة لمحمد بن عبدالرحمن الدمشقي العثماني (القرن ٨ هـ) مطبوع على هامش الميزان للشعراني ـ دار احياء الكتب العربية بالقاهرة .
٣٥ ـ رد المحتار على الدر المختار « حاشية ابن عابدين » ـ لمحمد أمين الشهير بابن عابدين (١٢٥٢ هـ) ـ دار الفكر ببيروت ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .
٣٦ ـ روضة الطالبين وعمدة المفتين ليحيى بن شرف بن مري الحوراني النووي (٦٧٦ هـ) ـ المكتب الاسلامي ببيروت ط ٢ ـ ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥م .
٣٧ ـ شرح السير الكبير لمحمد بن أحمد السرخسي (٤٨٣ هـ) مطبعة مصر بالقاهرة .
٣٨ ـ فتاوي ابن تيمية تصوير عن الطبعة الاولى ١٣٩٨ هـ .
٣٩ ـ الفتاوي الهندية ـ للشيخ نظام الدين وجماعة من علماء الهند (١٠٧٠ هـ) دار احياء التراث العربي ببيروت ط ٣ ـ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م .
٤٠ ـ قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية لمحمد بن أحمد بن جزي الغرناطي المالكي (٧٤١ هـ) ـ دار العلم للملايين ببيروت .
٤١ ـ المبدع في شرح المقنع لابي عبدالله محمد بن مفلح (٧٦٣ هـ) ـ المكتب الاسلامي ببيروت ط ١ ـ ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .
٤٢ ـ المجموع شرح المهذب ليحيى بن شرف بن مري الحوراني النووي

(٦٧٦ هـ) دار العلوم للطباعة بالقاهرة ١٩٧٢ م .
٤٣ ـ المحلي لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (٤٥٦ هـ) - دار الاتحاد العربي بالقاهرة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
٤٤ ـ المغني على مختصر الخرقي لأبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة (٦٢٠ هـ) مكتبة الرياض الحديثة بالرياض .

رابعاً : كتب التاريخ .

٤٥ ـ اتحاف الأخصا بفضائل الأقصى لابي عبدالله محمد بن شهاب الدين أحمد ابن علي المنهاجي السيوطي (٨٨٠ هـ) - الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ط ١ - ١٣٩٨ هـ .
٤٦ ـ آثار البلاد وأخبار العباد زكريا بن محمد القزويني (٦٨٢ هـ) دار صادر ببيروت ودار بيروت ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .
٤٧ ـ أحسن التقاسيم للمقدسي المعروف بالبشاري (٣٨٠ هـ) - مطبعة بريل ليدن ١٩٠٦ م .
٤٨ ـ البداية والنهاية لابي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (٧٧٤ هـ) - مكتبة المعارف ببيروت ط٢ - ١٩٧٧ م .
٤٩ ـ بلادنا فلسطين لمصطفى مراد الدباغ - دار الطليعة ببيروت ط ١ - ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م .
٥٠ ـ تاريخ الامم والملوك لابي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ) دار الفكر ببيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
٥١ ـ تاريخ الخلفاء لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي (٩١١ هـ) دار نهضة مصر بالقاهرة .
٥٢ ـ تاريخ فلسطين القديم لظفر الإسلام خان - دار النفائس ببيروت ط ٣ - ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

٥٣ ــ تاريخ اليعقوبي لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب اليعقوبي (بعد ٢٩٢ هـ) دار صادر ببيروت .

٥٤ ــ تقويم البلدان لأبي الفداء عماد الدين بن إسماعيل صاحب حماة (٧٣٢ هـ) دار الطباعة السلطانية بباريس ١٨٤٠ م .

٥٥ ــ خريدة العجائب وفريدة الغرائب لسراج الدين أبي حفص عمر بن الوردي (ت ٧٤٩ هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ط ٢ ـ ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩ م .

٥٦ ــ خطط الشام لمحمد كرد علي .

٥٧ ــ الحضرة الانسية في الرحلة القدسية لعبدالغني النابلسي (١١٤٣ هـ) مكتبة القاهرة بمصر .

٥٨ ــ ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي (٧٩٥ هـ) مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .

٥٩ ــ رحلة ابن بطوطة ـ دار التراث ببيروت ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م .

٦٠ ــ زبدة كشف الممالك ـ غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري (٨٧٣ هـ) مطبعة الجمهورية بباريس ١٨٩٤ م .

٦١ ــ صورة الأرض لأبي القاسم بن حوقل النصيبي (بعد ٣٦٧ هـ) منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت .

٦٢ ــ الطبقات الكبرى لابن سعد ـ دار صادر ببيروت .

٦٣ ــ فتوح الشام لأبي عبدالله محمد بن عمر الواقدي (٢٠٧ هـ) المكتبة الاهلية ببيروت ط ١ ـ ١٩٦٦ م .

٦٤ ــ فضائل القدس لابي الفرج بن الجوزي (٥٩٧ هـ) دار الآفاق الجديدة ببيروت ط ٢ ـ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م .

٦٥ ــ القلائد الجوهرية لمحمد بن طولون (٩٥٣ هـ) نشر مكتب الدراسات

الإسلامية بدمشق ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩ م .
٦٦ ــ الكامل في التاريخ لعلي بن محمد بن الأثير (٦٣٠ هـ) ـ دار الكتاب العربي ببيروت ط ٢ ـ ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .
٦٧ ــ معجم البلدان لشهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (٦٢٦هـ) ـ دار صادر ببيروت ، ودار بيروت ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م .
٦٨ ــ المقدمة لابن خلدون ـ دار النشر العربية المصرية بالقاهرة .
٦٩ ــ نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لشمس الدين أبي عبدالله محمد الدمشقي .

خامسا : كتب اللغة .

٧٠ ــ تهذيب الأسماء واللغات لابي زكريا محي الدين بن شرف النووي (٦٧٦ هـ) دار الكتب العلمية ببيروت .
٧١ ــ المصباح المنير لابي العباس أحمد بن محمد الفيومي (٧٧٠ هـ) المطبعة الاميرية بالقاهرة ط ٦ ـ ١٩٢٦ م .
٧٢ ــ المفردات في غريب القرآن للحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (٥٠٢ هـ) مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة .
٧٣ ــ النهاية في غريب الحديث للمبارك بن محمد بن الأثير (٦٠٦هـ) ـ دار الفكر ببيروت .

سادسا : الكتب الحديثة .

٧٤ ــ آثار الحرب في الفقه الإسلامي للدكتور وهبة الزحيلي ـ دار الفكر بدمشق ط ٣ ـ ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .

٧٥ ـ أحكام الصيام وفلسفته للدكتور مصطفى السباعي ـ المكتب الاسلامي ببيروت .
٧٦ ـ الإسلام والقضية الفلسطينية ـ عبدالله ناصح علوان ـ مكتبة المنار بعمان ط ١ ـ ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .
٧٧ ـ الحروب الصليبية لارنست باركر .
٧٨ ـ عروبة بيت المقدس للدكتور إسحق موسى الحسيني ـ منشورات مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ببيروت ١٩٦٩ م .
٧٩ ـ العلاقات الخارجية في دولة الخلافة للدكتور عارف أبو عيد ـ دار الارقم بالكويت ط ١ ـ ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣ م .
٨٠ ـ فلسطين في الادب الجغرافي العربي للدكتور عماد الدين خليل ضمن كتاب دراسات تاريخية للمؤلف ـ المكتب الإسلامي ببيروت ط ١ ـ ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .
٨١ ـ المدارس في بيت المقدس ـ للدكتور عبدالجليل حسن عبدالمهدي ـ مكتبة الأقصى بعمان ١٩٨١ م .
٨٢ ـ مستقبل إسرائيل بين الاستئصال والتذويب ـ كمال محمد الاسطل ـ دار الموقف العربي بالقاهرة .
٨٣ ـ مصنفة النظم الإسلامية ـ الدكتور مصطفى وصفي ـ مكتبة وهبة بالقاهرة ط ١ ـ ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .
٨٤ ـ من تاريخنا ـ محمد العامري .
٨٥ ـ المؤامرات الصهيونية من خيبر الى القدس ـ حسن فتح الباب .

سابعا : الدوريات .

٨٦ ـ مجلة الامة القطرية .
٨٧ ـ مجلة البلاغ الكويتية .

مطابع القبس التجارية